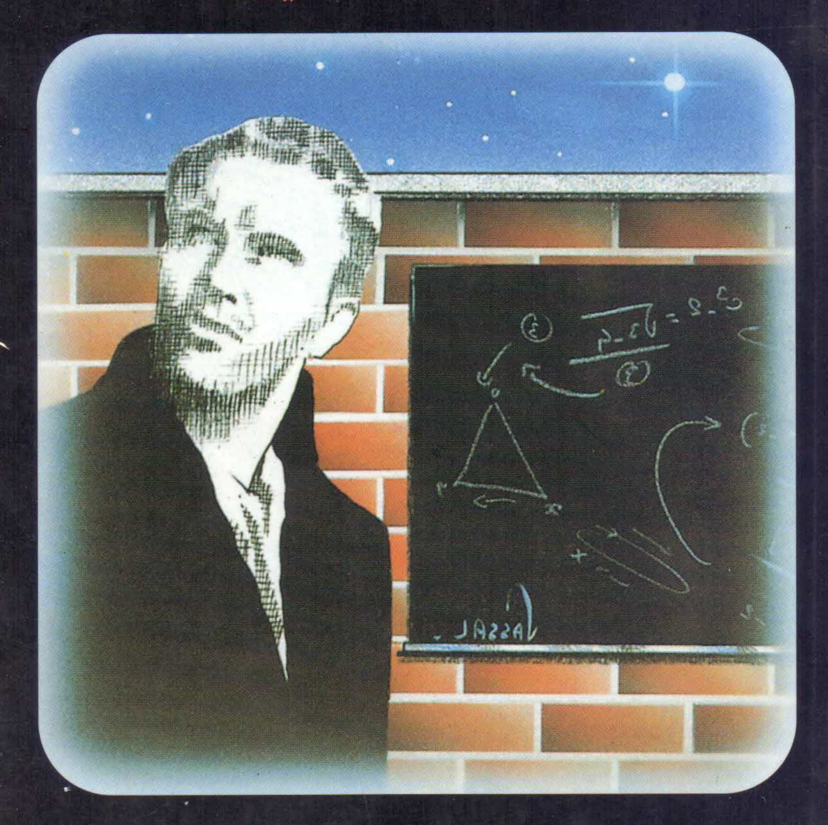
أرسين لوبين

المعركة الأخيرة



مغامرات " ارسين لوبين "

ذو الشخصية الفذة في اقتحام عالم الجريمة وكشف مرتكبيها وتقديمهم للعدالة . وصاحب المغامرات المثيرة المعروف لملايين القراء في جميع أنحاء العالم . والذي ذاعت شهرته حتى تفوقت على كل الشخصيات البوليسية التي تصور الجريمة وتحلل وتكشف عن مرتكبيها .

تعد الروايات البوليسية التي تحمل اسم البطل (ارسين لوبين) أعظم الروايات البوليسية في مطلع هذا القرن والتي كتبها الكاتب الفرنسي " موريس لبلان " وقد لاقت إقبالاً عظيماً من القراء وخاصة المهتمين بدراسة الجريمة وتحليل دوافعها وإحاطة اللثام عن مرتكبيها وتقديمهم للمحاكمة لينالوا الجزاء الرادع . لذلك احتلت رواياته وقصصه مكانة مرموقة في عالم القصة البوليسية .

وهذا البطل (ارسين لوبين) يتميز بالنبل والشرف والشهامة فهو لا يهدف من مغامراته الى الثراء وكسب المال او للثأر والإنتقام من خصومه . وإنما يكرس حياته للكشف عن الجريمة وتعقب الجناة وتقديمهم للعدالة .

إنه اللص الشريف الذي يمتلىء قلبه بالحب والخير للناس .

وخاصة البائسين والفقراء حيث كان يخصهم بعطفه وإحسانه ويتبرع بكل ما يحصل عليه من الأثرياء البخلاء واللصوص الجشعين للجمعيات الخيرية ومؤسسات البر والإحسان .

وقد تحدى هذا البطل (أرسين لوبين) رجال الشرطة وكبار المفتشين الخصوصيين في عصره في اوروبا وأمريكا حتى أطلق عليه لقب الرجل ذي الألف وجه وهيئة حيث كان يجيد التنكر ويظهر في شخصيات متعددة .

فلا عجب إن احتلت رواياته مكانة عظيمة في قلوب جميع القراء في كل أنحاء العالم .

برنارد الأسطه

يقدم

الرواية المعرّبة

المعركة الأخيرة

(٦)

رواية بوليسية طريفة بطلها اللص الظريف "أرسين لوبين"

الناشر

دار ميوزيك

للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش ٠م٠م٠

ص.ب ٣٧٤ جونيه - لبنان

الفصل الأول

حين سمع "بابيلوس" صوت "لوبين" ذهبت عنه رعدة الخوف التي كانت قد سرت في أوصاله وهمس قائلا :

- إني سعيد بلقائك .. كان في نيتي أن أبحث عنك .

فقال "لوبين" في صوت ودود :

- حقا .. ! أكنت تنوي أن تبحث عني .. ؟ يا للمصادفة السعيدة .. ! لقد صدق من قال إن من القلب إلى القلب رسولا .. !

وذكر "بابيلوس" مقابلة أخرى جرت بينه وبين "لوبين" .. مقابلة كان فيها "لوبين" أسيرا بين أ يدي رجال العصابة والمسدسات مصوبة إليه.

وفي هذه المقابلة لم يقل "بابيلوس" إنه سعيد بلقاء "لوبين" وإنما رفع يده ولطمه على وجهه .. ومحال أن ينسى "لوبين" هذه اللطمة.. ومحال أيضا أن يصدق أن "بابيلوس" كان حقيقة في هذه اللحظة سعيداً بلقائه . !

وقال "بابيلوس" مرددا جملته في صوت متحشرج :

- نعم .. كنت أبحث عنك .. كنت أريد أن أتحدث إليك .

- ويظهر أنك كنت شديد التلهف إلى لقائي إلى درجة جعلتك تنطلق بالسيارة في حركة فجائية سريعة حتى خيل إلي أنك تركت وراءك نصفها الخلفي.

فقال "بابيلوس" في صوت مرتعد :

- بل أسرعت لأن ورائي مدفعاً رشاشا .

ولم يقل "لوبين" شيئا .. ولكنه ضحك فصاح "بابيلوس" قائلا :

- أقسم إني لا أكذب .. لقد صدر الحكم بإعدامي .. لقد أرسلتك إلى "والينو" ومعك المدية فاعتقدوا أني على اتفاق معك وأنك اشتريت

إخلاصي .. لقد تقرر إعدامي .

فهز "لوبين" راسه وقال :

- ولهذا خطر لك ان تبحث عني وان تذهب إليهم براسي حتى يصدر العفو عنك .. ولكن اعلم يا صاح اني أكره أن ادفن مجزأ .. إني احب ان يودع راسي وجسمي في قبر واحد .

فصاح "بابيلوس" متوسلا :

- قلت لك إني لا أحاول أن اخدعك .. إني اصارحك بالحقيقة .. إني أريد أن أعقد صفقة معك .

فقال "لوبين" هازئا :

- وبكم تشتري اللطمة التي اعطيتها لي بالأمس ..؟

- الا تصدقني يا رجل ! قلت لك إنهم حكموا علي بالإعدام .. إنهم يعدون المدفع الآن لإطلاقه علي .. وانت الرجل الوحيد في العالم الذي يستطيع أن ينقذني منهم . لقد لطمتك حقيقة بالأمس . ولكن الموقف إذ ذاك كان مختلفا .. ومع ذلك فالطمني الآن إذا شئت .. الطمني مائة مرة بل الف مرة .. ولكن انقذني منهم .. إني على استعداد لأن اساعدك يا "لوبين" إذا نسيت ما حدث بالأمس.. انس ما حدث واعف عني وانقذني منهم .. إن في وسعي أن امدك بمعلومات خطيرة .. لا تقتلني ولكن اصغ إلي .. إني اعلم انك كنت تنتظرني لتاخذني للنزهة ولكن ..

فقاطعه "لوبين" بضحكة ساخرة اردفها بقوله :

- يظهر يا "بابيلوس" انك مخدوع في نفسك .. أتعتقد حقا ان "لوبين" يمكن أن يهتم بشخص مثلك .. إني أطا امثالك من الديدان الحقيرة عرضا وأنا اسير في طريقي .. لقد كنت أعتقد أن هذه سيارة" داتش كيلمان" فأردت أن انتظره فيها.. فصاح "بابيلوس" قائلا :

- إذن فانت تريد "داتش" ؟ إنك في حاجة إلى "داتش" اضعاف ما انت في حاجة إلي .. اتفقنا إذن .. سامهد لك السبيل إلى اقتناص "داتش"

سأذكر لك كل ما أعلمه.. متى يخرج . ؟ ومتى يدخل ؟ وأين يذهب ؟ بل إن في وسعي أن أساعدك على أن تقتنص كل رجل في العصابة .

استمر "بابيلوس" في حديثه محاولا ان يقنع "لوبين" بانه صادق النية فيما يقول . وهذا يابى أن يصدقه اعتقادا منه بانها حيلة يعمد إليها اليوناني لينقذ نفسه من حكم الإعدام الذي أصدره ضده "لوبين" نفسه .

كان "بابيلوس" يعلم من "أمثولة اربول" انه مقتول لامحالة .

فلما راى "لوبين" خلفه ومسدسه مثبت في ظهره هداه ذهنه إلى هذه الخدعة فاخذ يلقي إلى "لوبين" بمعلومات لا شان لها حتى يخلي سبيله.

صاح "بابيلوس" أخيرا وقد استولى عليه الياس :

– لا تقتلني .. ولكن أصغ إلي بضع دقائق .. ساقول لك كل ما أعلم فإذا رأيت أني كاذب فيما اقول فاقتلني كالكلب .

قال "لوبين" في صوت هادىء :

– إن المقبرة التي أنوي أن أدفنك فيها لا تزال بعيدة فيمكنك أن تتكلم كما تشاء حتى نصل إلى بابها .!

وتكلم "بابيلوس" فقال :

– إن العصابة لا تنوي أن تشتغل بخطف الأطفال .. خطف الأطفال مهنة خطرة ولا داعي لها .إن عملنا في المستقبل سيكون الحماية .. نقول لرجل مثل "انسلهيم" : «ادفع مبلغ كذا وإلا قتلنا طفلتك ..» فإذا دفع تولينا حماية الطفلة وإذا أبي قتلناها .. فهل تعتقد أن لإعادتك " فيولا" إلى أبيها اية فائدة .؟ لا.. إنه سيضطر إلى مواصلة الدفع وإلا قتلت .. لن نختطفها مرة أخرى لأن للخطف مشاقه وأخطاره .. ولذلك كان أول ما فعلناه هذا الصباح أن اتصلنا تليفونيا بـ "انسلهيم وقلنا له : «ادفع المبلغ المطلوب وإلا لم تعد لك طفلة لكي ينقذها "لوبين" ..»

نعم.. فحتى من كان مثلك لا يستطيع أن يعيد الحياة إلى طفلة قتلت .

فابتسم "لوبين" وقال :

- وهل تعتقد يا "بابيلوس" أن مثل هذه الحكاية التافهة كفيلة بأن تجعلني أطلق سراحك؟ يجب أن تفضي إلي بمعلومات أهم من هذه .

فتقبضت يد اليوناني على عجلة القيادة وهتف قائلا :

- سأخبرك بما تشاء .. سلني أجبك .

فقال "لوبين" في صوت بارد :

- هناك سؤال واحد إذا أدليت إلي بجوابه عفوت عنك .

- وما هذا السؤال .؟

- من الرفيق الكبير ؟

فصاح "بابيلوس" قائلا :

- ولكن لا أستطيع أن أجيب عن هذا السؤال .

- حقا ..! ولماذا ..؟

- لأن الإجابة مستحيلة ..! لو كنت أعلم لما ترددت .. ليس في العصابة كلها من يعلم الجواب غير الرفيق الكبير نفسه بالتأكيد .. و"الينو" لا يعرف .. و"كيلمان" لا يعرف .. والتليفون هو الوسيلة الوحيدة للاتصال به .. ولا يعرف رقم التليفون إلا شخص واحد .

فقال "لوبين" في صوت يدل على العطف :

- وتكون سيئ الحظ إذا لم تكن أنت هذا الشخص .! فصاح "بابيلوس" قائلا :

- إني لست هذا الشخص .. ولكني سأخبرك باسمه .. إنه .. يا إلهي! .. ما هذا .! وانطلقت من فم "بابيلوس" صرخة تدل على الرعب والفزع .!

وأرسل "لوبين" بصره إلى حيث كان صاحبه ينظر فرأى سيارة تنهب الأرض في نفس الاتجاه .. وكانت نافذتها مفتوحة .. ومن هذه النافذة

تتراءى للعين فوهة مدفع رشاش .!

ادرك "لوبين" الخطر الداهم فانبطح على وجهه في قاع السيارة.

وفي اللحظة التالية دوت الطلقات النارية وانهال على المقعد الأمامي سيل من النار ..

* * *

اخذ زجاج السيارة يتناثر حول "لوبين" ولكن لم تصبه رصاصة واحدة من ذلك السيل الجارف الذي كان ينطلق من فوهة المدفع الرشاش إذ كان المقعد الأمامي الذي يجلس عليه "بابيلوس" هو هدف المعتدين.

سكنت عاصفة الموت .. وشعر "لوبين" بان السيارة أخذت تتلوى يمينا ويسارا .. ولم تكد تمضي لحظات حتى اصطدمت اصطداما عنيفا !

لبث "لوبين" في مكانه تحت الأنقاض لا يتحرك وقد استولى عليه ذهول خفيف سمع في خلاله صرخات امراة وصوت صفارة البوليس وجلبة قوم ينادون ويصيحون .

ادرك "لوبين" أن الانتظار لا يتفق وخطته فتحامل على نفسه وأزاح انقاض السيارة وخرج من بينها فرأى حشدا من الناس قد هرع إلى المكان واحاط به إحاطة السوار بالمعصم .

كان لابد أن يشق لنفسه طريقا .. وأن يبتعد عن هذا المكان بأسرع ما يمكن . ولكن نظرات الجمهور جعلت تنتهبه في فضول شديد فوضع يده على جيبه الخلفي وكانت هذه الحركة منه واضحة المعنى فانفض الناس من امامه واوسعوا له طريقا يمر منه .

انطلق "لوبين" وهو يوسع الخطى إلى الشارع الجانبي وانعطف في اول طريق لقيه ليضلل شهود الحادث إذا أراد أحد منهم أن يرشد رجال البوليس إلى الطريق الذي يسلكه .

ومرت به سيارة استوقفها بإشارة من يده ووثب إلى داخلها دون أن ينتظر وقوفها وصوب مسدسه إلى السائق وهو يقول :

- استمر في طريقك وأسرع .!

أطاع السائق الأمر الذي صدر إليه من "لوبين" .. أومن المسدس بعبارة أدق .. وقال :

- ألست أنت "أرسين لوبين" ؟.

فدهش "لوبين" وقال : - وكيف عرفتني .؟

فأجابه السائق في لهجة تدل على الارتياح :

- لقد عرفتك من صورتك التي نشرتها الصحف بالأمس .. وإني مسرور لأنك خرجت سليما من هذه المعركة كما أني مسرور لأنك انقذت تلك الطفلة المسكينة .

فقال "لوبين": - أما أنا فمسرور لأني قابلتك .

استرسل السائق قائلا :

- إني أكره "موري والينو" .. منذ بضع سنوات كان يفرض إتاوة على كل صاحب سيارة فمن أبى أن يدفعها نسفت سيارته ولكم ارهقني بهذه الإتاوة .

ولما بلغ "لوبين" المكان الذي ينشده قال للسائق :

- قف هنا .. وشكرا لك .

فقال السائق في ابتهاج :

- إني أحب أن أخدم رجلا مثلك .. فإذا احتجت إلي يوما من الأيام فاتصل تليفونيا بمطعم كولومبيا .. تليفون رقم ٩٤٧٨٩ . إنني اتغدى هناك دائما .

قفز "لوبين" من السيارة بعد أن دس في يد السائق ورقة مالية من فئة العشرين دولارا وهو يقول :

- إذا احتجت إليك فسأستدعيك بالتأكيد .

ولكنه لم ير ما يدعوه إلى الثقة المطلقة بهذا السائق فدخل محطة السكة الحديد القريبة من المكان وخرج من بابها الخلفي ثم دار حولها وذهب إلى فندق استوريا عن طريق ملتو حتى يعتقد السائق أنه كان ينوي السفر .

* * *

قال "فالكروس" يسأله :

- لقد عدت مبكرا فما الذي حدث ؟

فاشعل "لوبين" سيجارة وارتمى على المقعد وهو يقول :

- لا شيء .. وكل شيء .. لقد قتل رجل يدعى "بابيلوس" إن اسمه لم يكن مدرجا في القائمة ولكن العصابة قتلته . لأنها اعتقدت خطأ أنه خانها .. فلما عرف أن حكم الإعدام صدر عليه أراد أن يفضي إليّ بكل ما يعلم .. ولكن صوت المدفع الرشاش كان أعلى من صوته فاضطر أن يسكت ليتكلم المدفع !

فقال "فالكروس" :

- إنك تجازف بحياتك يا "لوبين" فيحسن بك أن تكون اكثر حذرا .

فقال "لوبين" وهو يبتسم :

- كن مطمئنا يا "بيل" فإني لن أموت إلا بعد أن أقتنص الرفيق الكبير.. وبهذه المناسبة .. الم تذكر لي أنك متكفل بجميع نفقات هذه العملية ؟

- بالتأكيد .. فكم تريد ؟

وأخرج "فالكروس" من جيبه دفتر الشيكات ولكن "لوبين" هز رأسه وقال :

- لا اريد مالا .. ولكن اريد سيارة .. سيارة صغيرة الحجم عظيمة السرعة فإني اعتقد مما سمعته من "بابيلوس" أن حادثا مهما سيقع عند بيت "انسلهيم" .. وقد تنفعني السيارة .

ولما أرخى الليل سدوله كانت السيارة الجديدة في انتظاره عند الباب فركبها وطار مسرعا إلى ميدان "ساتون" ولكنه لم يقف عند بيت "اسكل انسلهيم" وإنما وقف على مسافة قريبة منه حتى لا يلفت إليه الأنظار .

لقد أنباه "بابيلوس" قبل أن يموت بأن العصابة أنذرت "انسلهيم" تليفونيا في صباح ذلك اليوم بأن طفلته ستقتل إن لم يدفع الفدية المطلوبة .

ولا شك أن الأب الحنون لا يريد أن تقتل طفلته .. وكان "لوبين" متلهفا إلى أن يشهد الطريقة التي سيتم بها الدفع .

نزل "لوبين" من سيارته ومشى يتسكع على الإفريز وعيناه على باب البيت الذي يقطنه والد "فيولا" .

ولمح رجلا متواريا في الظلام على مقربة من الدار فقال في نفسه : يظهر أن العصابة خصصت أحد رجالها لمراقبة الأب الحنون. فتح باب البيت وخرج رجل يحمل تحت إبطه لفافة كبيرة من الورق.

وسقط ضوء المصباح على وجه الرجل فعرف "لوبين" أنه هو بنفسه "اسكل انسلهيم" !

فهز رأسه وقال : ليت شعري أي شيء في هذه اللفافة ؟ إن فيها فيما أعتقد رزما من الأوراق المالية .. لقد قرر "انسلهيم" أن يدفع . ولكنني لن أجعله يدفع !

ودنا "انسلهيم" من الرجل المتواري في الظلام على مقربة من البيت ولكنه لم يناوله اللفافة وانما تحدث إليه برهة ثم صعد إلى سيارته واللفافة لا تزال تحت إبطه .

فادرك "لوبين" أن هذا الرجل ليس من العصابة وأنه على العكس من ذلك : شرطي سري أقامه "انسلهيم" عند الباب ليسهر على حماية

الطفلة المحبوبة .

وانطلقت سيارة "انسلهيم" تنهب الأرض .

وكانت هناك سيارة اخرى منطلقة في اثرها وفيها "ارسين لوبين" .!

* * *

ظلت السيارتان تطويان الطرق في نفس الاتجاه حتى بلغتا ضواحي المدينة . فرأى "لوبين" من الحكمة ان يطفئ أنوار سيارته حتى لا يلفت إليه أنظار "انسلهيم" .

استمرت هذه المطاردة فترة طويلة من الوقت .

وعلى حين بغتة اوقف "لوبين" سيارته إذ رأى أن سيارة "انسلهيم" قد وقفت على قيد حوالي ٢٧ مترا منه .

ولم ينزل "انسلهيم" من سيارته . ولكن "لوبين" رأى على الأشعة المنبعثة من مصابيحها جسما أسود اللون يخرج من النافذة ويطير في الهواء ثم يستقر على الأرض في صوت سمعه "لوبين" في هذا السكون الذي يشمل الأرض .

وعرف على الفور أن هذا الشيء ليس إلا اللفافة التي فيها الفدية .

قفز "لوبين" من سيارته وانطلق صوب المكان الذي سقطت فيه اللفافة في الوقت الذي تابعت فيه سيارة "انسلهيم" طريقها .

ولم يثب "لوبين" إلى اللفافة بل توارى خلف إحدى الأشجار مكتفيا بالنظر إليها وهي في موضعها تغمرها اشعة القمر .

وبعد دقائق سمع "لوبين" خشخشة الشجيرات القريبة من اللفافة..

ثم ازيحت الأغصان وبرز من بينها راس رجل تبعد كتفاه .. !

امتدت يد الرجل لتلتقط اللفافة .. وقبل ان يلمسها كان "لوبين" قد اخذ بخناق الرجل وهو يقول في صوت لطيف :

- اهذا انت يا عزيزي "هيمي فيلدر" .. ؟ إني سعيد بلقائك !

حملق الرجل إلى وجه "لوبين" وقد عقدت المفاجاة لسانه وجعلت اللون يغيض من وجهه .. ففتح فمه دون أن يتكلم !

فقال "لوبين" مازحا :

- إني لست عفريتا .. ولكن اسمح لي أن أحمل عنك هذه اللفافة.

التقط اللفافة مسرعا دون أن يتصدى "هيمي فيلدر" لمنعه .. وحين ملك صوته كانت الكلمة الوحيدة التي نطقها هي قوله :

مجنون !.

تابط "لوبين" اللفافة وهو يقول :

- والآن وداعا أيها الصديق العزيز .. !

وقبل أن يتحول لينصرف سمع خفق نعل على قيد خطوات منه..

والتمعت عينا "فيلدر" ببريق الأمل فابتسم "لوبين" وهمس في أذنه قائلا :

- كلا يا صديقي .

وارتفع صوت القادم قائلا :

- هل عثرت عليها .؟

وتولى "لوبين" الإجابة :

- لا يا صاح .. إن "هيمي" لم يعثر عليها .. ولكن انا الذي عثرت عليها .. فارفع يديك فوق رأسك وإلا ..

وقبل أن يتم "لوبين" جملته دوى طلق ناري أصاب الشجرة التي كان "لوبين" واقفا عندها .. !

ضاقت عينا "لوبين" وضغط زناد مسدسه .. !

ولم يكن في نيته أن يقتل الرجل لأنه ما كان ليحفل بالحشرات الحقيرة ولهذا اكتفى بأن سدد المقذوف إلى المسدس الذي يحمله الرجل.

طار المسدس من يده ولكنه لم يرض بالهزيمة فوثب يريد الانقضاض على "لوبين" .

تلقاه "لوبين" بان ضغط الزناد مرة أخرى ولكن الرصاصة لم تنطلق لأنها كانت رصاصة فارغة !

وقبل ان يضغط "لوبين" الزناد للمرة الثالثة كان الرجل قد وصل إليه واشتبك معه في عراك عنيف .

كان الرجل ضخم الجسم كانه عملاق جبار . فكان ثقل وزنه من العوامل التي ضايقت "لوبين" على الرغم من براعته في فن المصارعة وحذقه الأساليب اليابانية .

دام النضال طويلا واخذ الرجلان يتدحرجان على الأرض وكل منهمايحاول أن يشد بقبضتيه على عنق غريمه .

واخيرا الفى "لوبين" نفسه طريحا على الأرض والرجل جاثم فوق صدره وقد امسك بعنقه محاولا أن يخنقه .

وهتف الرجل قائلا :

- لقد نلته يا "هيمي" .. ! لقد نلته .. !!

ولكن "لوبين" لم يكن من الطراز الذي ينال بمثل هذه السهولة . فرفع يده التي كانت لا تزال ممسكة بالمسدس وضرب الرجل على صلعته بمقبضه ضربة جمع فيها كل قوته .

وتراخت يد الرجل عن عنقه فدفعه "لوبين" عن صدره فتدحرج وسقط على الأرض .. !

رأى "هيمي فيلدر" أن الواجب يقضي عليه بان يتدخل فاراد أن يثب بدوره على "لوبين" ولكنه لكمه في فكه لكمة القته على الأرض غائبا عن الوعي .

نهض "لوبين" واقفا ونفض ثيابه ثم حمل اللفافة التي تحتوي على

الأوراق المالية .

ويعد لحظات كان منطلقا بسيارته راجعا إلى المدينة وقد خلف وراءه المقاتلين الجسورين راقدين على الأرض مستغرقين في النوم الهنيء .

الفصل الثاني

يظهر انه لا ضرورة لان نقول : إن مستر "اسكل انسلهيم" كان يهوديا.

وهو رجل بدين الجسم أسود الشعر له عينان ضيقتان تزدادان ضيقا إذا ما استولى عليه الخوف . وله ابتسامة لطيفة جذابة وانف شديد التقوس من المؤكد انه كان السبب الأول الذي حمل "هتلر" على طرد اليهود من المانيا . وبهذا الأنف لا يستطيع أحد من النازيين أن يعتقد انه يمكن أن يكون رجلا شريفا رحيم القلب وانه جمع ثروته بوسائل مستقيمة غير ملتوية .

كان "انسلهيم" جالسا إلى مكتبه تلوح على محياه أمارات الإعياء ونور المصباح يسقط على وجهه فيبرز للعين شدة امتقاعه ، وكانت يداه موضوعتين على المكتب ، ولكن لو انك تاملتهما قليلا لرأيت فيهما رجفة خفيفة، وكان تحت عينيه خطوط زرقاء تدل على انه كابد في الأيام الأخيرة متاعب تمزق القلب .

وفي الطابق الأعلى كانت طفلته "فيولا" راقدة في فراشها غارقة في النوم الهنيء لا يشغل ذهنها غير أحلام الطفولة العذبة.

ومن اجل هذه الطفلة رضي اليهودي بان يدفع الفدية المطلوبة .

حقيقة قد اعاد إليه "فيولا" ذلك الشيطان المسمى "ارسين لوبين" دون ان يتقاضى أجراً عن إنقاذها .. ولكن "انسليهم" كان يعلم أنه لابد أن يدفع الأجر .. للعصابة وليس لـ"لوبين" حتى يكون مطمئنا إلى سلامة الطفلة .

وكان "انسلهيم" لا يجهل أن طفلته لم تخطف لأن في النية الفتك بها وإنما أريد من خطفها ان يكون نذيرا يحمله على الدفع .

ولقد اتصلت به العصابة في صباح ذلك اليوم وامرته بان يدفع وإلا

قتلت ابنته .

كان هذا الإنذار هو السبب في تلك الرحلة التي قام بها إلى ضواحي المدينة حين القى لفافة الأوراق المالية من نافذة السيارة في المكان المتفق عليه دون أن يدري بأن "لوبين" خلفه يرقبه ويرصد حركاته .

كان "انسلهيم" وهو جالس إلى مكتبه يسائل نفسه عن السبب الذي يجعل مدينة عظيمة كنيويورك .. مدينة اجتمعت لها كل أسباب الثراء والرفاهية والقوة .. ما السبب الذي يجعل هذه المدينة واقعة في قبضة عصابة دموية لا هم لها إلا ابتزاز المال والفتك بالأبرياء دونما رحمة أو شفقة ؟ ما السبب الذي يجعل البوليس عاجزا مكتوف الايدي أمام هذه النكبات المتوالية ؟!

ولكنه لم يكن في حاجة إلى أن يسمع جوابا من احد . لأنه كان يعرف الجواب كما تعرفه امريكا باسرها .. لو أن القضاة كانوا شرفاء، ولو أن رجال البوليس كانوا غير مرتشين لمسحت هذه العصابات مسحا تاما منذ زمن طويل ..

ولكن كيف السبيل إلى القضاء عليها والإرهاب ناشر جناحيه على المدينة .. والحكم للمدفع الرشاش .

وحين طافت هذه الخواطر بذهنه استولى عليه الغضب .. لا لأنه كان ياسف لأن المدينة في قبضة العصابات وإنما لأنه كان يعلم أن المال الذي دفعه لن يرد إليه .

وفي هذه اللحظة سرت في أوصاله رعدة فجائية .. لم تكن ناشئة عن الخواطر التي تواردت على ذهنه وإنما كان مبعثها تلك الحركة الخفيفة التي تبادرت إلى أذنه .

كانت نافذة المكتب مفتوحة .. وعندها وقف "ارسين لوبين" يرقب اليهودي بعينيه المرحتين اللتين تنبعث منهما سخرية مرة .

وعندما تكلم كان صوته اشد سخرية من عينيه .. كان وقع نبراته في

الأذن أشبه بصليل السيوف .

ولقد مرت به لحظات وهو في مكانه هذا يتابع تلك الخواطر التي تصطخب في دماغ اليهودي .

وتكلم "لوبين" قائلا :

- كيف حالك يا "انسلهيم" . ؟

ولم يكد اليهودي يسمع هذا الصوت حتى تبدد ما كان يشعر به من الغضب والنقمة . ولم يعد يفهم أو يدرك إلا شيئا واحدا هو أن طفلته المحبوبة راقدة في فراشها وليس هناك من يحميها من الموت الذي يترصدها .

حملق "انسلهيم" في وجه "لوبين" بعينين ينبعث منهما الرعب ورفع يديه إلى رأسه يشد شعره كأنه مجنون فقد الوعي .

ثم صرخ قائلا في نوبة عصبية :

- لقد دفعت . ! لقد دفعت . ! فماذا تريد . ! لماذا لا تتركني في سلام!

جلس "لوبين" على حافة النافذة وقال مجيبا :

- كلا .. إنك لم تدفع .. إنك لم تدفع أيها الأخ .

فصرخ اليهودي للمرة الثانية قائلا :

- أقسم إنني دفعت ! .

وأكسبه الرعب شجاعة وبلاغة فاسترسل قائلا :

- لقد دفعت .. دفعت هذه الليلة .. كما نبهت علي .. لا شك أنه حدثت غلطة .. ولكنها ليست غلطتي .. أقسم لك إني دفعت . !

ومد "لوبين" يديه في جيوبه فكاد يغمى على المسكين اعتقادا منه أن عدوه سيخرج مسدسه .

ولكن "لوبين" أخذ يخرج من جيبه رزما من الأوراق المالية ويلقي بها على المكتب تحت عيني اليهودي . !

كان "انسلهيم" يتابع بعينيه كل رزمة يلقيها "لوبين" وهي تطير من

يده وتستقر على المكتب دون أن ينطق بكلمة واحدة لأنه كان في ذهوله اشبه بالصبي الذي يرى ساحرا يخرج من اذنه اليسرى فارا ومن أذنه اليمنى أرنبا .

وتكلم "لوبين" في لهجة مرحة فقال :

- هذا هو مالك يا "اسكل" .. تسعون الف دولار .. فقد حجزت لنفسي عشرة آلاف بمثابة عمولة تحصيل بنسبة عشرة في المائة.. وهكذا ترى انك لم تدفع .

حملق "انسلهيم" في رزم الأوراق المكدسة على مكتبه وقد استولى عليه رعب جديد ، ولكنه لم يحاول أن يلمسها كان في ملمسها الموت !

ولما تمالك روعه صاح قائلا :

- من اين جئت بهذه الرزم . ؟

فقال "لوبين" مفسرا :

- يظهر انها سقطت منك في اثناء سيرك ولكنني كنت وراءك لحسن الحظ فالتقطتها .. ولا أحسب أن دخولي من النافذة قد ساءك، وأرجوك أن تعذرني في ذلك فإنى مولع باستعمال سلالم الحريق .

ساد الصمت برهة ثم استرسل "لوبين" قائلا :

- إني رجل شريف فلم يخطر لي على بال أن أستولي على مالك .. ولكن الشيء الذي يدهشني هو تلك الطريقة الشاذة التي تبذر بها ثروتك فإنني مهما كنت واسع الثراء فلن أفكر في يوم من الأيام أن انثر الأوراق المالية في الطرق ذات اليمين وذات الشمال.!

فازدرد "انسلهيم" ريقه وقال :

- هل تقصد ان تقول : إنك التقطت هذه الأوراق من المكان الذي رميتها انا فيه ؟

فحنى "لوبين" رأسه وقال :

- هذا هو ما اردت أن اقنعك به منذ ساعة .. ولكن يظهر أن حظي من

الفصاحة وحسن البيان قليل . فعندما رايتك ترمي هذه اللفافة إلى الأرض قلت في نفسي : لا شك أن هذا الرجل مجنون .

فانفجر "انسلهيم" قائلا :

- بل أنت المجنون .. ! إنك بهذا العمل قد قتلتني .. قتلت ابنتي.

وكان صوته متهدجا مختنقا :

- إذا لم يصل هذا المال إليهم قتلوا ابنتي .

فتقدم "لوبين" إلى وسط الغرفة وجلس على حافة المقعد وهو يقول :

- حقا . !

فقال الرجل مزمجرا :

- يا إلهي .. ! لماذا خطر لك أن تتدخل .. ؟ ! اية اهمية عندك للأمر .. من انت .. ؟

فابتسم "لوبين" وقال :

- إنني الرجل الذي اعاد إليك ابنتك .

فهب "انسلهيم" واقفا وصاح قائلا :

- "ارسين لوبين" .. !

فحنى "لوبين" راسه وتناول سيجارا من الصندوق الموضوع على المكتب فاشعله وهو يقول :

- أصبت ... إنني "لوبين" .. ولعلك قد فهمت الآن السبب الذي جعلني افضل ان استعمل سلم الحريق .. إنك مدين لي بحياة طفلتك فإذا كان لديك مال كثير تريد أن تتخلص منه بهذه الطريقة الشاذة فلا مانع عندي مطلقا من أن تقذفه إلى جيبي بدلا من ان تقذفه على الأرض .

ساد الصمت برهة واخيرا تكلم "انسلهيم" فقال :

- إني آسف لمسلكي معك .. إني لن أنسى صنيعك مدى الحياة .. ولكن إذا أردت ان تساعدني فاخرج ودعني وحدي .. إني أريد أن أخلو إلى نفسي لأفكر .. يجب الا يراك أحد هنا إن عرفوا انك كنت هنا

قتلونا نحن الاثنين .

فقال "لوبين" في صوت هادئ :

- كلا . ليس الاثنان .. !

وساد صمت طويل جعل "لوبين" في خلاله ينظر إلى اليهودي كأنه يريد أن ينحت له تمثالا .

وقال "انسلهيم" متسائلا :

- لماذا جئت لزيارتي الآن . ؟

نفث "لوبين" من فمه حلقة كبيرة من الدخان وقال :

- جئت لأعيد إليك هذه الأوراق ولأدخن سيجارا من سجائرك الفاخرة ولأشرب ذلك الكاس من العصير الذي يلوح لي أن ليس في نيتك تقديمه إليّ .. وأخيرا لأرى إذا كان في وسعك أن تساعدني .

- وكيف أساعدك .. ؟ ألا تريد مالا .. ؟

فهز "لوبين" رأسه وأرسل بصره إلى رزم الأوراق المالية المكدسة على المكتب وقال :

- لو أني كنت أريد مالا لما جئت إليك .. فقد كان المال في جيبي كما ترى .. وفضلا عن هذا فإن لي صديقا من أصحاب الملايين وضع خزائنه تحت تصرفي وهي لم تفرغ بعد .. كلا .. إني لا أريد منك مالا وإنما أريد ثقتك ومعلوماتك .. خبرني بما تعلم .

فهز "انسلهيم" رأسه في حركة ميكانيكية وقال :

- لن أخبرك بشيء .

فنظر "لوبين" في ساعته وتمتم قائلا :

- لماذا هذا التسرع يحسن بك أن تتريث .

ساد الصمت برهة ثم استرسل "لوبين" قائلا :

من الجائز جدا يا "انسلهيم" أن ترجع عن رأيك .. والرجوع عن الرأي دليل على أن المرء حر في تفكيره وأن له عقلا . وأنه يستعمل هذا

العقل.. وإني اعرف بالتاكيد أن لك عقلا وانك تحب أن تستعمله .

كان "لوبين" يتكلم بطريقة ليس فيها شيء من التهديد أو الوعيد ولكن "انسلهيم" لم يكن من الغباوة بحيث يغفل عن أن هذه الطريقة هي شعار "لوبين" وانه حين يتكلم بمثل هذه الطريقة يكون خطرا رهيبا .. فلو أن مسدسا كان مصوبا إليه لما كان أشد وقعا في نفسه من هذه الكلمات الناعمة اللينة .

ولما سكت "لوبين" تكلم "انسلهيم" فقال في صوت مرتعد :

- وعن أي شيء تريد أن تسألني .. ؟

فنظر إليه "لوبين"، وكانت نظرته مجردة عن الزهو أو الانتصار .. وقال :

- حدثني بكل ما تعلم .

فقال "انسلهيم" معترضا :

- ولكنك تعلم من الأمر مثلما أعلم أنا .. لقد اختطفوا "فيولا" لأني أبيت أن ادفع ثمن الحماية .

فقال "لوبين" مرددا :

- ثمن الحماية .. إني أعلم ذلك فاستمر .

- ولكنك لا تعلم بالتاكيد أن إنقاذك "فيولا" لن يجدي عليَّ شيئا فإذا أبيت أن أدفع قتلوها .

- ولكن من هم الذين سيقتلونها ؟

- لا أدري .. لست أعرفهم .

فهز "لوبين" رأسه وقال :

- هذا جائز بالتاكيد .. ولكن لديك على الأقل فكرة عنهم ..ما الطريقة التي يتصلون بك بواسطتها . ؟ التليفون .. أليس كذلك . ؟ ولكن هب أن مداعبا ثقيلا هو الذي هددك ..كيف عرفت أن التهديد جدي .. ؟ هل إذا جاءك رجل من عرض الطريق وأمرك بأن تدفع فهل كنت ترضى أن تدفع ؟

إن مجرد التهديد لا يكفي لحملك على الخضوع .. فلابد أن هناك امرا معينا جعلك تعتقد أن العصابة جادة فيما تقول .. وهذا هو ما اريد أن أعرفه .

نهض "انسلهيم" واقفا وجعل يتمشى في أرجاء الغرفة وقد لاحت على وجهة أمارات الاضطراب .

جعل "لوبين" يرقبه وهو يعلم بتلك العاصفة التي تصطخب في صدره . هذا النضال الرهيب بين الخوف والجراة إنه يريد أن يتكلم ولكنه خائف .

وكان "انسلهيم" قد بلغ في سيره جدار الغرفة فارتفعت يده في سرعة البرق وضغطت زرا في الجدار ثم تحول إلى "لوبين" وقال في لهجة تدل على الانتصار:

ـ والآن هيا اخرج .. ! هذا الجرس متصل برجال البوليس السري الذين استاجرتهم لحراستي .. إني لا اريد أن انزل بك اذى لاني مدين لك بكل شيء .. ولكني لا أستطيع أن اتكلم .. لان كلمة واحدة تخرج من شفتي معناها الموت .. موتي وموت "فيولا" ..!

فقال "لوبين" في صوت رقيق :

- إني لا ارضى لك ذلك بالتاكيد. ومشى إلى النافذة فتخطى حافتها ووقف على سلم الحريق وقال:

- إني ما زلت في انتظار معلوماتك .. وسنلتقي في يوم آخر .

فهز اليهودي راسه وقال :

- محال أن اتكلم .. !

فرماه "لوبين" بنظرة ازدراء وقال :

- إنك ستتكلم في مرة أخرى.!

ثم اخذ يهبط السلم وما لبث أن ابتلعه الظلام .

والواقع ان هذه الزيارة لم تسفر عن اية نتيجة فما خرج منها

"لوبين" بشيء جديد . كان في وسعه على الأقل أن يظفر بالتسعين الف دولار . ولكنه ابى إلا أن يعيدها إلى صاحبها شأن الرجال الشرفاء .

واخذ يلعن نفسه لقلة احتياطه إذ مكن "انسلهيم" من أن يستدعي الحارس .. ولكنه سيكون اكثر حذرا في المرة القادمة وسيعرف كيف ينتزع الكلام من هذا اليهودي الماكر .

ويظهر أن "لوبين" كان منهمكا في هذه الخواطر وهو ينزل السلم فلم ينتبه إلى الخطر الذي كان في انتظاره .

فما استقرت قدماه على الأرض حتى شعر بجسم صلب يضغط ظهره وسمع صوتا يقول :

- تعال معنا أيها الصديق لنذهب بك إلى "نزهة" صغيرة . !

* * *

لم تبد على وجه "لوبين" ذرة من القلق او الانزعاج وهو يجتاز عتبة الغرفة الداخلية في مقهى "شارلي" .

ومضى يتصفح وجوه الحاضرين كانما يتفرج على تماثيل مرصوصة في أحد المعارض . والحق أن وجوه هؤلاء الرجال كانت جديرة بالتامل لأن فيها أصدق تعبير عن روح الشر والجريمة . وكذلك مضى الرجال ينظرون إليه متفرسين ليروا عن كثب وجه هذا الرجل الذي جاء إلى تلك البلاد ليتحدى الحديد والنار .

كان "لوبين" مجردا من السلاح ، إذ فتشه اعداؤه واحسنوا تفتيشه في هذه المرة فانتزعوا حتى المدية المشدودة إلى ذراعه التي غفلوا عنها في المرة الأولى . بل لقد بلغ من ريبتهم انهم جردوه من علبة سجائره ومن مبراته ومن القلم الرصاص اعتقادا منهم أن هذا الشيطان قد يحيل حتى مثل هذه الأشياء إلى أسلحة يتوسل بها إلى النجاة . !

ولو أن رجلا غير "لوبين" جرد من أسلحته بمثل هذه الدقة لاستولى عليه الارتياع .. ولكن "لوبين" على العكس من ذلك كان مبتهجا مسرورا

إذ رأى في هذه العناية خير دليل على أن له في نفس هؤلاء القوم مكانة عظيمة .

لقد ظل يبتسم .. وظللت عيناه ترسلان هذا الوميض الساحر الهادئ الذي يثير الأعصاب ويهيج النفوس .

تمتم "لوبين" وهو يدير عينيه في الحاضرين : مرحبا بكم أيها الإخوان .. ! صدقوني إني كنت شديد اللهفة إلى لقائكم .. وليت شعري أي نوع من الاستقبال أعددتم لي الليلة .. ؟

كان "هيمي فيلدر" بين الحاضرين وقد شد إلى رأسه بعض الضمادات والأربطة كتحية يقدمها إلى المعركة التي جرت في الليلة الماضية .

مال "فيلدر" إلى "كيلمان" وقال :

- إنه مجنون .. هذا الرجل مجنون . !

وكان "كيلمان" جالسا على مقعده كأنه صخرة لا يتحرك وعيناه مثبتتان على "لوبين" ينظر إليه من قدمه إلى رأسه ..

ولكن "لوبين" لم يكن مهتما بـ"كيلمان" أو بـ"هيمي فيلدر" أو بأحد من هؤلاء الطغام وإنما كان بصره عالقا بتلك الفتاة الجذابة "فاي ادواردس" .

وكان غريبا ذلك الأثر العميق الذي تتركه هذه الفتاة في نفسه كلما عبرت طريقها .

إنه لم يكن يعرف عنها شيئا حتى الآن .. لقد سمع صوتها في التليفون وهي تتحدث إلى القاضي "ناتير" .. أو خيل إليه انه سمع صوتها لأنها لم تكن قد تكلمت حتى هذه اللحظة ليتحقق من انها هي بعينها صاحبة ذلك الصوت الموسيقي العذب .

لقد رآها في مقر العصابة في الليلة التي استعاد فيها "فيولا انسلهيم" ولكنها ظلت صامتة لا تنطق بكلمة واحدة .. وحين دفعت

المسدس إلى يده لبثت مطبقة الفم ايضا .. ! ولكنه على الرغم من صمتها .. وعلى الرغم من انه لم يسمع أحدا يذكر اسمها كان موقنا انها لابد أن تكون "فاي ادواردس" التي هم "فرساك" بان يحدثه عنها .

كان وجهها هو الوجه الوحيد في هذه الغرفة الذي يذكر المرء بأن في الدنيا جمالا يعبد .. ! وكان "لوبين" سعيدا وهو ينظر إليها .. !

فعلى الرغم من المسدسات المصوبة إليه .. وعلى الرغم من الخطر الذي يترصده .. وعلى الرغم من يقينه بانه على وشك القتل كان سعيدا وهو يتامل في وجهها هذا الحسن الفتان .. !

وكان هناك سؤال يتردد في ذهنه دون أن يدري له جوابا :

لقد أعانته وهو في شدته .. وزودته بالمسدس .. فلماذا .. ؟ لماذا فعلت هذا . ؟ أي سبب حملها على إنقاذه . ؟ هذا هو السؤال الذي أعياه جوابه .

كانت جالسة على مقعدها جامدة الوجه كانها تعيش في غير هذه الدنيا ولا تدري بما يجري حولها .

حين دخل الغرفة استقر بصره عليها . وقد خيل إليه أنه رأى في عينيها وميضا غريبا .. ولكن هذا الوميض ما لبث أن اختفى بمثل السرعة التي ظهر بها . وارتدت "فاي ادواردس" كما كانت جامدة كأنها قطعة من الصخر .

التفت إليها "داتش كيلمان" وقال :

- هذا هو "أرسين لوبين" .. !

فقالت الفتاة وعيناها مسمرتان على "لوبين" :

- نعم إنه الرجل الذي قتل "موري والينو" .

ولأول مرة سمع "لوبين" صوتها .. وكان هو نفس الصوت الموسيقي العذب .. ! فسرت في أوصاله نفس النشوة اللذيذة التي شعر بها حين سمع صوتها في التليفون .

وقال "لوبين" يخاطبها :

- طاب مساؤك يا "فاي" .

أطالت الفتاة نظرتها إليه ثم تناولت سيجارة من حقيبتها فاشعلتها.

وعلى الضوء المنبعث من عود الكبريت رأى "لوبين" في عينيها ذلك الوميض الخاطف الذي رآه عند دخوله الغرفة منذ دقائق .

ولكنه لم يصدق عينيه وخيل إليه أنه رأى هذا الوميض بين الوهم والخيال .

وأومأ "كيلمان" برأسه إلى أحد رجاله . فمشى الرجل إلى باب في الغرفة غير الباب الذي دخل منه "لوبين" ففتحه وهو يقول :

- تفضلا .

فدخل الغرفة رجلان .

كان أحدهما طويل القامة عريض المنكبين كأنه عملاق جبار يعلو عينيه حاجبان كثيفان . أما الثاني فكان على النقيض من صاحبه ضئيل الجسم أصلع الرأس ذا شارب صغير محفوف . فجعل "لوبين" يتأملهما ويقارن بينهما وهو يبتسم مبتهجا وقد استولت عليه رغبة ملحة في أن ينزع حاجب العملاق الكثيف ليلصقه في الموضع اللائق به تحت أنف الرجل الضئيل ليجعله شاربا له .. !

عرف "لوبين" الرجلين فور النظرة الأولى . فالعملاق هو مستر روبرت أركريد" زعيم تلك الجماعة السياسية التي تتولى القيام بالحملات الإرهابية لمصلحة بعض المرشحين مستعينة بالعصابات. أما الرجل الضئيل فكان مستر "ماركوس بيلد" النائب العمومي لمدينة نيويورك!

ويظهر أن الرجل الضئيل كان يعرف من تاريخ "لوبين" ما جعله يقف متباعدا في ركن الغرفة دون أن يجرؤ على الدنو من "الشيطان" على

الرغم من المسدسات التي كانت جديرة بأن تحميه من أى خطر يتهدده وكانت نظراته حافلة بالخوف فلم يملك "لوبين" نفسه وهو ينظر إلى جسمه الضئيل من أن يقول له : بخ .. !

وكما كان يتوقع "لوبين" ارتعد الرجل خوفا .

وقال "أركريد" يخاطب "لوبين" :

- إذن فأنت الرجل الذي كنا نبحث عنه .

- نعم إنني هذا الرجل يا أركريد" .

فحملق إليه العملاق وقال:

- وكيف عرفت اسمي .. ؟

- من صورة لك رأيتها في إحدى المجلات .

وجعل "أركريد" يصعد "لوبين" بنظراته ثم قال :

- إني أرى أن لا فائدة في اللف والدوران .. ولذلك سأخاطبك في صراحة تامة .. لقد سببت لنا متاعب كثيرة . ولعلك تعرف أن جرائم القتل التي ارتكبتها كفيلة بأن ترسلك إلى الكرسي الكهربائي .

فقال "لوبين" مجيبا :

- الواقع أني لم أكن أعرف هذا ، فعندما حضرت إلى هذه البلاد كنت أعتقد أنه لا داعي لأن يحصل الإنسان على ترخيص لكي يباح له قتل الناس .

فقال "أركريد" في لهجة تهديدية :

- إن الكرسي الكهربائي مصير كل مخبول يحضر إلى هذه البلاد وهو يعتقد أن في وسعه أن ينظفها .. وأنت تعلم بالتأكيد ما ينبغي أن أفعله الآن .

فقال "لوبين" مصححا :

- بل أعلم ما "كان" ينبغي لك أن تفعله .. ! إن الواجب يقضي عليك بصفتك رجلا شريفا ومن أنصار القانون والنظام أن تستدعي شرطيا

وتسلمني إليه .. ولكنك لن تجرؤ على هذا لأن الناس قد يسالونك عن السبب الذي اتى بك إلى هذا المكان .

ساد الصمت برهة واشعل "اركريد" سيجارا ضخما جذب منه بضعة انفاس ثم قال :

- ليس في نيتي أن أستدعي شرطيا .. لسبب واحد هو انك لا تزال في مقتبل العمر ، ومما يؤسف له أن يموت من كان مثلك وهو غض الشباب .. إنك تكره بالتاكيد أن ترسل إلى الكرسي الكهربائي أو تؤخذ إلى "نزهة" صغيرة اليس كذلك ؟

لبث "لوبين" صامتا لا يتكلم فاسترسل "اركريد" قائلا :

- لو انك اتيت لمقابلتي فور قدومك إلى هذه البلاد لأمكنني أن اسدي إليك خدمة كبيرة .. إن هذه الأعمال التي تشغل نفسك بها الآن تتعبنا وتتعبك . إننا لسنا ناقمين عليك لقتلك "اربول" فقد كان غير ذي شان في العصابة .. ولسنا ناقمين عليك لقتلك "والينو" فقد بدا ينتفخ ويكبر في الأيام الأخيرة وكان في نيتنا أن نتخلص منه لو انك لم تقتله .. ولكنك لا تزال ماضيا في طريقك واخشى أن تمتد يدك إلى قوم نحرص على بقائهم .. لقد وعدنا الجمهور بان نقر الأمن والنظام .. وبصفتي رئيسا لجمعية "تاماني" التي تقوم بالدعاية الانتخابية ارى من واجبي أن أضع حدا لنشاطك .. وهذا مستر "بيلد" يؤيدني فيما اقول .

فتكلم النائب العمومي للمرة الأولى في صوت متحشرج فقال :

- بالتاكيد .. يجب أن أضع حدا لنشاطك .. يجب القضاء على هذه الحركات التي لا داعي لها .

واسترسل "اركريد" قائلا :

- لقد تعهدنا للمرشحين بإقصائك من الميدان وانا رجل احب أن ابر بتعهداتي .. ولكننا راينا ألا نشتد في معاملتك ، ولذلك قلت لصديقي "بيلد" : إن "لوبين" رجل عاقل فلماذا لا نتقدم إليه بعرض معقول ؟

كان الأمر من الوضوح بحيث لا يحتاج إلى كل هذه البلاغة الفياضة التي عمد إليها رئيس جماعة الدعاية الانتخابية .. كانت هذه الجماعة تعتمد في نصرة مرشحيها على الحملات الإرهابية التي تقوم بها العصابات لمصلحة هؤلاء المرشحين .. فإذا جاء "لوبين" وقضى على هذه العصابات فقد قضى ضمنا على جمعية "تاماني" .

ساد الصمت برهة ثم استرسل "أركريد" قائلا في لهجة تمثيلية:

- أما هذا العرض فهو ربع مليون دولار .. الا ترى اننا كرماء اسخياء ؟ إننا نعرض عليك ربع مليون دولار لكي تغادر هذه البلاد راجعا إلى انجلترا أو إلى أي بلد تشاء.. فما رأيك ؟

فقال "لوبين" يسأله :

- وأية خدمة تبغون مني لقاء هذا الثمن ؟

فجذب "اركريد" نفسا طويلا من سيجاره الضخم ثم قال :

- إننا لا نبغي منك شيئا .. كل ما ننشده هو إيقافك عند حدك. لا نريد أن تتدخل في شؤون هذه المدينة .. ولكنك تعلم بالتاكيد أن لا فائدة هناك على الإطلاق إذا سافرت أنت وبقي أذنابك وأعوانك ماضين على نفس الخطة .. ولهذا نريد منك أيضا أن ترشدنا إلى رجال عصابتك لنتفق معهم كما اتفقنا معك .. ألست ترى معي انها صفقة رابحة ؟

فقال "لوبين" مجيبا :

- إنها صفقة رابحة لك .. خاسرة لي

فصاح "هيمي فيلدر":

- إنه مجنون ! الم اقل لكم : إنه مجنون !

فدار "اركريد" على عقبيه وصاح بـ"فيلدر" قائلا :

- اصمت أيها الغبي وإياك أن تتكلم .

ثم تحول ثانية إلى "لوبين" وقال في صوته الهادئ :

- أصغ إلي .. إني لا أحاول أن أخدعك .. سننقدك ربع مليون دولار لكي تغادر هذه البلاد .. إني اهيئ لك فرصة ما كنت لتحلم بها.. فكيف ترفض هذا العرض ؟

- أرفض لأنك تصر على أن تعرف أسماء رجالي .

- وأي ضير في أن ترشدنا إليهم؟

- لا مانع لدي بالتاكيد.. إذ كانت لدي عصابة.

- ماذا تقصد ؟

- اقصد أنني إنما اشتغل بمفردي .

- بمفردك .. ! هذا الكلام لا يقبله العقل !

- ولكن يقبله الواقع .. سل من شئت من رجالك تعلم انهم لم يروني في يوم من الأيام إلا وحيدا منفردا .. إنني الرئيس .. والوكيل .. والسكرتير .. والأعضاء .. والبواب ايضا فعصابتي مؤلفة من رجل واحد . وهذا الرجل هو أنا .. فليس عليك إلا أن تضع في جيبي الربع مليون دولار وتقف على الميناء لتلوح لي بمنديلك مودعا !

جعل "أركريد" ينظر إليه برهة ثم اقترب من "بيلد" و"كيلمان" واخذ الثلاثة يتحدثون في صوت منخفض . بينما كان "هيمي فيلدر" يحرك شفتيه حركات خفيفة دون أن يخرج من بينهما صوت مسموع . ولكن كان من الواضح أنه يريد أن يردد جملته المعهودة:

- إنه مجنون .. إنه مجنون .

واستعار "لوبين" سيجارة من أقرب الجالسين إليه فاشعلها واخذ يدخن وهو ينقل بصره بين وجوه الرجال المنبثين في الغرفة وفي عينيه مرح وابتهاج كانما ينظر إلى صور هزلية مضحكة .

لم يكن "لوبين" من طراز يخيفه التهديد والوعيد وهو الرجل الذي أمضى حياته مستهدفاً للأخطار . وما كان أيضا من الطراز الذي يرضى بأن يتخلى عن مهمة أخذها على عاتقه سواء قدموا إليه ربع

مليون دولار او ربع مليون رصاصة !

وعلى الرغم من أن الرجال الثلاثة كانوا يتبادلون الرأي في صوت منخفض إلا أن "لوبين" كان يسمع الشطر الأكبر من حديثهم .

وقد سمع "اركريد" يقول :

- وهل من المعقول ان يعمل بمفرده ؟ إن كل هذه الأعمال الجريئة لا يمكن أن تصدر إلا عن عصابة منظمة .

فقال النائب العمومي :

- إنني اعتقد شخصيا انه صادق في هذا القول .

قال "كيلمان" :

- إنه يعتمد على المفاجاة .. يباغت أعداءه على غير انتظار فيظفر بهم .. ولكنني لا اعتقد انه يجمع حوله عصابة ما .

فقال "اركريد" :

- هذا جائز .. ولكن يجب أن نعمل عملا يرضي الشعب .. إذا قدمناه إلى المحاكمة فضحنا واطلق لسانه بما يعرف .. وإذا قتلناه هاج الشعب ضدنا .. ولكن يجب على اي الأحوال أن نتخلص منه. فما العمل ؟

استمر الحديث برهة بين الرجال الثلاثة و"لوبين" ماض في تدخين سيجارته في غير اهتمام كانما لا يحفل بما يجري حوله..

وكان هذا الحديث يعني شخصا آخر سواه .

ولكنه كان يفكر في ذلك الرجل العجوز "فالكروس" الذي استدعاه من اوروبا وجعله يعبر المحيطات والبحر لكي ينقذ هذه المدينة الغارقة في الدماء .

إن من المحال أن يشي بهذا الرجل وان يذكر للعصابة انه هو الذي يؤيده ويسانده . كما ان من المحال ان يتخلى عن المهمة التي جاء من اجلها .

في هذه المدينة سبعة ملايين شخص يدفعون إلى القضاة وإلى رجال البوليس مرتبات ضخمة لكي يحموهم من السرقة والقتل .. فإذا بهؤلاء الرجال يستخدمون مناصبهم في تاييد السرقة والقتل!

وليس في هؤلاء الملاين السبعة رجل واحد يجهل هذه الحقائق ولكن ليس فيهم رجل واحد يجرؤ على أن ينادي برايه وان يقول للشرطي المرتشي:

إنك مرتش .. أو للقاضي الخرب الذمة : إنك خرب الذمة .

ولكن "لوبين" سيقول هذه الكلمة الجريئة .. فإذا كانت الشجاعة قد خانت سبعة ملايين رجل فإنها لم تخنه هو .. وإذا كانت المدينة باسرها لم تجد الكلمة التي ينبغي أن تقال فإن "لوبين" قد وجدها.

وقطع عليه حبل تصوراته صوت "اركريد" وهو يقول :

- لقد سمعت يا "لوبين" كل ما ينبغي أن يقال .. ليس لحل هذه المشكلة إلا طريقتان : طريقتك وطريقتنا .. فايهما تختار ؟

- ولكني اذكر أني ذكرت لك رايي من قبل !

- الا تنوي أن تعدل عنه ؟

- إن "لوبين" لا يتراجع .

فهز "اركريد" رأسه وقال :

- إنها فرصة افلتت منك .. وستندم عليها ؟

ونهض واقفا وهو يقول مخاطبا "كيلمان" :

- افعل إذن ما اتفقنا عليه .

مشى إلى الباب وخلفه النائب العمومي ولما انصرف الرجلان قال "كيلمان":

- تعال هنا يا "لوبين" .

تكهرب جو الغرفة وأرهف الحاضرون اسماعهم واتسعت عيونهم انتظارا لما يمكن أن تتمخض عنه الحوادث !

كان صوت "كيلمان" باردا ولكن نبراته تنذر بشر مستطير ولم يكن في نية "لوبين" أن يقف مكتوف اليدين حتى يجهز عليه أعداؤه ولكنه في الوقت ذاته لم يكن يدري كيف يكون المخرج من هذا المأزق الحرج إذ لا سبيل له وهو بمفرده إلى التغلب على عشرات من الرجال مدججين بالسلاح .

نظر "كيلمان" إلى وجهه وقال :

- إنك ولد طيب .. لقد اتعبتنا حقيقة ولكنك كنت ولا تزال ولدا طيبا .. فهل لك في أن تنتظر برهة في الخارج حتى أستدعيك !

ولم يكن احب إلى "لوبين" بالتاكيد من أن يغادر الغرفة . ولكنه لم يغادرها بالطريقة التي ينشدها وإنما انقض عليه رجلان من أبناء العصابة ومضيا به إلى الغرفة المجاورة .

وأشار "كيلمان" إلى اثنين من أعوانه بالاقتراب منه واخذ يصدر إليهما تعليمات قائلا :

- سأعهد إليك يا "ماكس" بهذه المهمة انت و"جو" . فاديا له التحية العسكرية اللائقة .. ثم عودا لمقابلتي هنا .

خرج الرجلان من الغرفة وقد أمسك كل منهما بمسدسه استعدادا لأداء التحية العسكرية !

التفت "كيلمان" إلى أعوانه وقال :

- كان "لوبين" ولدا طيبا .

ثم أخرج من جيبه منديلا مسح به دمعة حزن ترقرقت في عينيه!

عندما خرج "لوبين" إلى الطريق أنعشه النسيم العليل .

وجلس في السيارة بين حارسيه وقد الصق كل منهما فوهة مسدسه بجنب الأسير وأصابعهما على الزناد حتى لا يتيحا له فرصة يفلت فيها ، فحسبه اقل حركة تجعل المسدسين يحملان إلى قلبه الموت الأكيد ، وبينما كان السائق يدير المحرك أرسل "لوبين" بصره إلى باب

المقهى .. وهناك رأى "فاي ادواردس" تسد فرجة الباب بقوامها الرشيق.

كانت حافة قبعتها مرخية على عينيها فلم يدر "لوبين" إذا كانت تنظر إلى ناحيته أم لا .. وما كان هناك سبب يدعوه إلى الظن بانها تتابعه بنظراتها أو انها تشعر بوجوده ، ففي خلال الحديث الذي دار بينه وبين "أركريد" كانت جالسة تدخن سيجارتها مستسلمة إلى خواطرها الشخصية غير عابئة بما حولها .. وعندما اصدر "كيلمان" الأمر بإعدامه كانت مهتمة بإشعال سيجارة ثانية.. بل إنها لم تكلف نفسها مؤونة رفع عينيها . وكانت يدها ثابتة لا ترتعد .. وعندما دفعه الحارسان إلى خارج الغرفة نظرت إليه نظرة بدا فيها شيء من القلق والانزعاج ولكن هذه النظرة ما لبثت أن تبددت وارتد إلى وجهها جموده المعهود .

ولاحظ "ماكس" أن "لوبين" يطيل النظر إلى "فاي" وهي عند باب المقهى فقال له : .

- تأملها جيدا .. فبعد قليل لن يكون في وسعك أن تتامل شيئا!

فابتسم "لوبين" وقال :

- إنها تستحق أن ينظر إليها المرء ومن حسن الحظ أن السائق بطيء في عمله .. !

رأى "لوبين" الفتاة تعبر الطريق خلف السيارة في الوقت الذي جذب فيه "جو" الستائر فاسدلها .

بعد لحظات تحركت السيارة فعبرت بعض شوارع المدينة ثم انعطفت إلى ناحية الغرب .

كان "لوبين" يعرف انه سائر إلى حتفه .. ولكنه ظل مع ذلك رابط الجاش هادئ الأعصاب لا تطرف له عين إذ كان موقنا من أن الأقدار لن تتخلى عنه في مثل هذه اللحظة الخطيرة التي أخذ فيها على عاتقه أن

يؤدي رسالة العدالة .. العدالة السليمة التي لا ترحم أحدا .

إنه ما تدخل وما قتل ابتغاء نفع خاص ، وإنما فعل كل هذا لكي ينقذ سبعة ملايين شخص من قبضة وحوش بشرية لا ترحم .

وما كانت هذه أول مرة واجه فيها الموت .. وما كانت أول مرة ألفى نفسه فيها في مازق حرجة شديدة . ولكنه مع ذلك لم يستطع أن يطرد من ذهنه هذا السؤال : أتراه لم يبالغ في الثقة بنفسه والاعتداد بقوته!

كان في وسعه أن يطلق صرخة استنجاد كلما وقفت بهم السيارة عند مفترق الطرق .. ولكنه لم يكن من الطراز الذي يستنجد.. إذ أبت عليه كبرياؤه أن يلجأ إلى هذه الوسيلة التي لا يقرها تاريخه القديم الحافل بجلائل الأعمال . ومع ذلك فهب رجال البوليس خفوا إلى نجدته فهل ينتظر أن يجني من هذه النجدة شيئا ذا قيمة .. ؟ سينقذه الشرطي من حارسيه . ولكنه سيرسل به إلى السجن . ولن يجد "لوبين" محكمة تقره على طريقته في تنفيذ العدالة ، فإذا نجا من رصاص المسدسات فلن ينجو من الكرسي الكهربائي .

كان "لوبين" يعتقد أن حظه مع العصابة قد يكون خيرا منه مع القضاء .

وكان قد سمع كثيرا عن "النزهات" الصغيرة التي ترسل إليها العصابات الأمريكية أعداءها .. ولكنه لم يكن يتوقع أن يساق بمثل هذه السرعة إلى إحدى تلك النزهات . ومهما يكن من أمر فسيتحقق الآن بنفسه مما إذا كانت الروايات التي سمعها كاذبة أم صادقة . ولما كان المثل القديم يقول : إن للمعرفة ثمنها. فسيدفع "لوبين" حياته ثمنا لما سيعرف .

أخرج "ماكس" علبة سجائره من جيبه وقدمها إلى "لوبين" وهو يقول.

- هل لك في سيجارة .. ؟

- شكرا .. إن التدخين مباح فيما أرى للمحكوم عليهم بالإعدام.

في الوقت الذي كان فيه "ماكس" يقدم إليه السيجارة كان "جو" متحفزا لإطلاق النار إذا بدرت من"لوبين" بادرة تدل على انه ينوي أن ينقض على "ماكس" .

جذب "لوبين" بضعة انفاس من سيجارته ثم أسند رأسه إلى وسادة السيارة وقال متظاهرا بأن ليس للسؤال شيء من الأهمية :

- من هذه الفتاة المسماة "فاي" .. ؟ فاجاب "ماكس" :

- ماذا تقصد بهذا السؤال .. ؟

- إنها "دمية" بالتاكيد .

كان "لوبين" يعرف أن هذا اللقب أي "الدمية" إنما يطلق على الفتاة التي يتخذها زعيم العصابة خليلة له.

إن زعيم العصابة رجل دموي يمضي نهاره وليله غارقا بين الجثث لا يفكر إلا في إراقة الدماء .. ولكن إذا ما حانت ساعة اللهو انقلب رجلا آخر لا يفكر إلا في إشباع شهواته والاستمتاع بما في الدنيا من جمال .

ولهذا كان لكل زعيم عصابة "دمية" يلهو معها ويزهو أمامها بالانتصارات التي أحرزها في عالم الجريمة .. ! ولكنه لا يشرك معه دمية في الخطط التي يضعها أو في الجرائم التي ترتكبها العصابة .

الدمية امرأة خلقت للمتعة واللهو لا للحكم والسلطان .. قد تكون رشيقة وقد تكون فاتنة الجمال ولكنها لا يمكن أن تكون متوقدة الذكاء.

كان "لوبين" متلهفا إلى مضاعفة معلوماته عن "فاي ادواردس" ولكنه كان يعلم في الوقت ذاته انه لن يظفر بجواب من "ماكس"إذا وجه إليه في صراحة الأسئلة التي تدور في خلده . ولهذا قال في غير اكتراث كأنما مقتضيات الحديث هي التي تدعو إلى ذلك :

- الحق انها فتاة جميلة .. ولكنى لا اعتقد ان لها ميزة أخرى غير الجمال .. إن النساء من الغباوة والتقلب بحيث لا يليق بالمرء أن يثق بهن .

فنظر إليه "ماكس" في عطف وشفقة وقال :

- بل أنت الغبي .. إنها امرأة ذكية .. إن في دماغها عقلا لو وزع على عشرة من الرجال لأصبحوا من كبار الأذكياء .

فهز "لوبين" كتفيه في استخفاف وقال :

- هذا رأيك أنت .. أما انا فلي رأي آخر .. كلما ازداد ذكاء المرأة تضاعف خطرها . قد تبدو المرأة عاشقة لك مدلهة في حبك فإذا أصبح اليوم التالي رايتها تتخلى عنك لأنها عشقت سواك .

فقال "ماكس" في ازدراء: - "فاي ادواردس" تتخلى عن العصابة وتخونها ! حقا لقد صدق "هيمي فيلدر" حين نعتك بالجنون . ! "فاي" تخون العصابة ؟ الا تعلم يا صاح أنها حلقة الاتصال . ؟

فقال "لوبين" وهو لا يزال يتظاهر بقلة الاكتراث :

- حلقة الاتصال ؟

- نعم .. إنها موضع ثقة "الرفيق الكبير" .. إنها حلقة الاتصال بيننا وبينه .. فإذا أراد أن يصدر إلينا أمرا حملت هي إلينا أمره..

وإذا أردنا أن نبعث إلى الرفيق الكبير برأي لنا تولت هي إبلاغه رأينا .. إنها الشخص الوحيد في العصابة الذي يعرف الرفيق الكبير.

كان "لوبين" جامدا في مكانه لا ينم وجهه عن شيء مما يجري في خاطره كان ليس في هذا الحديث الذي يسمعه ما يثير الاهتمام .

لو انه عرف منذ اليوم الأول أن "فاي" هي حلقة الاتصال لكان له شأن آخر ولعرف كيف ينتفع بهذه المعلومات في الوصول إلى الرفيق الكبير. اما الآن فاية فائدة لما يعلم وهو مسوق إلى الموت.؟

لقد كان ينشد هذه المعلومات منذ اليوم الأول الذي وطئت فيه قدماه

الشاطئ الأمريكي . ولكنها معلومات لا يمكن أن يرضى رجل من العصابة بالإفضاء بها وما جاءته الآن إلا عفوا وما انفرجت عنها شفتا "ماكس" إلا وهو يعتقد انه يلقي بها إلى رجل ميت .

تنهد "لوبين" ثم قال ونبرات صوته باردة على عهدها :

- مما يؤسف له اني ساموت قبل أن اتعرف إلى الرفيق الكبير.. كان يسرني أن أعرفه .

فضحك "ماكس" وقال :

- وهذا الشوق هو الذي قادك إلى هذا المصير

فقال "لوبين" معترفا :

-. إنه فيما أرى رجل عظيم . ولكن الشيء الذي يدهشني هو انك وزملاءك ترضون بان تتلقوا أوامركم من رجل لم تروه في حياتكم.. أعني ما الذي يجعلكم تتعلقون به ؟

فضرب "ماكس" جبينه براحة يده وهو يقول :

- إن في دماغه عقلا .. إنه رجل يعرف كيف يبتكر العمل .. ولقد كان العمل نادرا عقب إباحة الشراب .

هز "لوبين" راسه مستفسرا . فاستطرد "ماكس" يقول شارحا هذا الغموض :

- عندما كان الشراب محرما كان المهربون من أسعد الناس . فلما أبيح الشراب لم يعد لنا ما نفعله .. وكان يجب أن نعيش وأن نبحث عن عمل نرتزق منه .. وبدأنا نشعر بالضيق والحرج والفاقة..

وفي تلك الأيام ظهر الرفيق الكبير فانقذنا مما كنا فيه .

- وكيف أنقذكم ؟

- دبر لنا العمل . إنه رجل متوقد الذكاء عظيم الذهن لا يقدم على حركة صغيرة إلا بعد أن يحسب لها حسابا . إنه لا يخطئ . فمن عمل في رعايته أمن الوقوع في أيدي البوليس .

ظلت السيارة ماضية في طريقها ، وكانت الرحلة طويلة. لم يكن "لوبين" يتوقع بالتاكيد أن يستفيد من هذه المعلومات والموت يرفرف بجناحيه فوق رأسه فقد تكون اللحظة التالية هي اللحظة الأخيرة في حياته .

إن المعروف عن العصابات أنها لا تجهز على أحد من أعدائها إلا إذا أحاطته بالمراسيم والتقاليد المعهودة فيوقفونه في مكان ما ويطلقون عليه النار كانه جندي صدر الأمر بإعدامه ولكن من المحتمل أيضا أن تشذ العصابة في هذه المرة عن هذه المراسيم فيكتفي "ماكس" وصاحبه بإطلاق النار عليه وهو جالس بينهما في السيارة وإلقاء جثته في عرض الطريق .

ومهما يكن من أمر . ومهما يكن من أمله في الحياة أو الموت فقد استرسل "لوبين" في توجيه أسئلته إلى "ماكس" بنفس قلة الاكتراث التي تظاهر بها من أول الامر حتى يلقي في روع جليسه أنه لا يتعمد استجوابه وأن هذه الأسئلة إنما ترددت على لسانه عرضا .

قال "لوبين" يساله : ولكن كيف جاء الرفيق الكبير ؟

أعني كيف ظهر للمرة الأولى . ! فإذا كنتم لم تروه من قبل ولم تسمعوا عنه فكيف يمكن أن تطمئنوا إليه وكيف يمكن أن تعرفوا أنه قد يكون ذا نفع لكم ؟

فابتسم "ماكس" وقال :

- إنه رجل ذكي . وقد دبر كل شيء .

- ولكن كيف بدأ ؟ كيف تمكن من الاتصال بكم في أول الأمر ؟ كيف سمعتم به في المرة الأولى ؟

فابتسم "ماكس" وقال :

- لا جواب عندي عن هذه الأسئلة فلك أن تخمن الجواب كما تشاء ولديك متسع من الوقت للتفكير .

وفي هذه اللحظة هدأت السيارة من سرعتها ففهم "لوبين" ما يرمى إليه "ماكس" وقال :

- هذا صحيح . إن لدي متسعا من الوقت للتفكير !

الفصل الثالث

عندما خففت السيارة من سرعتها أرسل "لوبين" بصره إلى الطريق من خلال النافذة الأمامية فوجد الأشجار قائمة على الجانبين وكانهم في شبه غابة . ولم تقف السيارة في ذلك المكان وإنما انعطفت إلى اليمين في حركة حادة وسارت في طريق ضيق تحف به الأشجار المتشابكة الأغصان التي كانت كفيلة بان تحجب ما يجري في داخل هذا الطريق الضيق عمن يكون سائرا في الطريق العام .

اخذت السيارة تثب وثبات متقطعة كلما مرت بجزء غير ممهد من الأرض .

شعر "لوبين" بان المرحلة الأخيرة قد دنت .. واشتد خفقان قلبه، وتوترت أعصابه ، ولكنه لم يكن خائفا .

كان الطريق يضيق تدريجيا كلما تقدمت بهم السيارة وبعد مسير بضع دقائق وقفت دفعة واحدة أمام باب يفضي إلى حديقة يحوطها سياج منخفض .

كان هذا المكان في راي "لوبين" أصلح مكان لارتكاب جريمة القتل . ففي وسعهم أن يطلقوا عليه النار دون أن يترامى دوي الطلقات إلى احد في هذه المنطقة المهجورة . وفي وسعهم ان يتركوا جثته دون أن يجشموا انفسهم مؤونة دفنها وهم مطمئنون إلى عدم العثور عليها إلا إذا قادت المصادفة أحد الناس يوما إلى هذه الحديقة المهجورة . وقد تقع هذه المصادفة بعد عام أو عامين أو ثلاثة وعندما يكون الناس قد نسوا اسم "ارسين لوبين" واعتقدوا انه اختفى فجاة من تلقاء نفسه كما ظهر فجاة . وبهذه الطريقة تتحقق غاية "اركريد" واصحابه فيتخلصون من "لوبين" دون أن يهيجوا الشعب ضدهم .

نزل "ماكس" من السيارة وهو مصوب مسدسه إلى "لوبين" قائلا:

- تفضل أيها الصديق العزيز .

وخلف "لوبين" نزل "جو" ومسدسه في يده .

ولم يكن "لوبين" يفكر في هذا الوقت إلا في الطريقة التي يتوسل بها إلى الفرار .. كانت كل جارحة من جوارحه منتبهة يقظة .. وكانت كل عضلة من عضلات جسمه متحفزة حذرة .. وما شعر في يوم من الأيام بالحياة تتدفق في عروقه مثلما شعر بها اليوم وهو يواجه الموت .. ولو أن إنسانا رآه في هذه اللحظة لاستحال عليه أن يتصور أن هذه الحياة الدافقة الفياضة .. هذه الحياة الصاخبة العاتية .. ستخمد بعد لحظات قليلة !

ودفع "ماكس" باب الحديقة الذي لم يكن موصدا ودخل يتبعه أسيره وخلفه "جو" . ولقد خطر لـ"لوبين" أن ينقض على أحد الرجلين محاولا أن ينتزع منه المسدس ، ولكنه لم يكن يجهل خطورة هذه الفعلة إذ سيبادره الثاني بطلقة ترديه قتيلا قبل أن يفرغ من خصمه .

أدار "لوبين" عينيه في الحديقة الصغيرة وقال :

- أهذه نهاية المرحلة ؟

فقال "ماكس" في اقتضاب :

- ونهاية الحياة أيضا !

فقال "لوبين" في هدوء :

- حياة من ؟ أنا أم انتما ؟

فنظر إليه "ماكس" في دهشة وقال :

- امزح كيف شئت .. فبعد قليل لن تقوى على المزاح.

وجعل "لوبين" يستعيد إلى ذاكرته مازق قديمة من هذا القبيل .. كم من مرة وقع فيها في أيدي خصومه وأعدائه ثم استطاع ان ينجو.. فهل كتبت له النجاة في هذه المرة أيضا ؟

لم يكن في نيته أن يسلم نفسه لقمة سائغة لأعدائه .. بل كان ينوي

ان يجاهد في سبيل الحياة .. كان ينوي ان يضرب الضربة الاخيرة فإذا اخفقت فلن يخسر شيئا .

وارتسمت على شفتيه ابتسامته القديمة .. ابتسامة التحدي والنضال والاستخفاف بالمخاطر والاهوال ثم التفت إلى صاحبيه وقال:

- لقد كنت طول حياتي اتلهف إلى معرفة الطريقة التي تتخلص بها العصابات الامريكية من اعدائها .. ومن حسن حظي انكما ستشفيان غليلي !

فضحك "ماكس" وقال :

- ثق اننا سنشفي غليلك حتى اللحظة الاخيرة من حياتك .

- ولكن ارجوك يا "ماكس" ان تحوطني وانت تقتلني بكل التقاليد والمراسيم المرعية وإلا مت حزينا !

اوما "ماكس" بمسدسه إلى شجرة قريبة وهو يقول :

- قف عند هذه الشجرة .. إنها أصلح الامكنة .

وقد نطق "ماكس" بهذه الجملة بنفس الطريقة التي كان جديرا بأن ينطق بها لو انه كان في نيته ان يلتقط صورة لـ"ارسين لوبين".

تفرس فيه "لوبين" برهة ثم مشى إلى الشجرة المقصودة إذ لم يكن في وسعه إلا الرضوخ .. فما يستطيع المرء ان يعصي امرا لمسدسين مصوبين إلى صدره .

وقف "ماكس" في وسط الحديقة وأشار إلى مساعده "جو" قائلا:

- لابد من التفتيش لان لبعض الناس ولعا بلبس دروع من الصلب تحت ثيابهم الداخلية ..

اخذ "جو" يفك ازرار "لوبين" ويعري صدره .

رفع "لوبين" يديه متظاهرا بمساعدته في فك الأزرار .. ولكن يده اليمنى استقرت على فك "جو" في لكمة عنيفة لو انها اصابت ثورا

لصرعته .. وفي نفس الوقت قبض بيسراه على يد "جو" الممسكة بالمسدس وازاحها بعيدا عن جسمه حتى لا يصيبه الطلق الناري إذا ما ضغط "جو" الزناد دفاعا عن نفسه .. وفعلا طاشت الرصاصة عن هدفها واستقرت في إحدى الأشجار !

وفي اللحظة التالية كان "لوبين" قد القى بذراعيه حول عنق "جو" يضغطه بشدة وقد اجتذبه إليه وضمه إلى صدره ليتخذ من بدنه درعا حيا يحميه من رصاصات "ماكس" .

وقد فوجئ "ماكس" بهذا الحادث غير المنتظر فرفع مسدسه ليطلق النار على "لوبين" ولكنه ادرك ان رصاصاته وهو في هذا الموقف لن تصيب إلا زميله "جو" . فوثب بضع خطوات منتقلا إلى ركن آخر من الحديقة حتى إذا رأى الهدف مكشوفا رفع مسدسه وضغط الزناد .

وقبل أن تنطلق الرصاصة كان "لوبين" قد احتمى بالدرع البشري .

ورآه "لوبين" وهو يضغط الزناد فانحرف قليلا ليتفادى الرصاصة المسددة إليه .. ولكنه أخطا الحساب فشعر بالم حاد يصيبه في كتفه وعرف أن رصاصة "ماكس" قد استقرت في بدنه.

وضغط "ماكس" الزناد للمرة الثانية ولكن "لوبين" كان على تمام الأهبة في هذه المرة فلم تصبه الرصاصة وإنما اصابت درعه البشري !

تراخت يدا "جو" وافلتت اصابعه المسدس فسقط على الأرض .

ولم يكن في وسع "لوبين" أن ينحني ليلتقطه .. وإلا كشف نفسه وعرض راسه وجنبه لمسدس"ماكس" .

صاح "ماكس" قائلا :

– الويل لك ! إنك لن تنجو من يدنا !

ثم رفع عقيرته ينادي سائق السيارة قائلا :

– "هانك" . ! تعال أيها المجنون .. أين انت ؟

ذكر "لوبين" السائق الذي كان واقفا في الخارج عند باب الحديقة

مهتما بتنظيف سيارته . وعرف ان أمله في النجاة ضعف..

فقد يكون من السهل ان يقاوم عدوا واحدا محتميا بجثة "جو" .. أما ان يقاوم عدوين يتلقاه هذا من اليمين وذاك من اليسار فامر يقرب من حد الاستحالة .

ولكن السائق لم يجب النداء فصرخ "ماكس" ثانية قائلا :

- "هانك" .. ! اين أنت ؟

وفي تلك اللحظة فتح باب الحديقة وظهر عند عتبته شبح يمشي في خطوات رشيقة وتكلم الشبح قائلا :

- الرفيق الكبير يامرك يا "ماكس" بان تنتظر !

لم يكد "ماكس" يسمع هذه الجملة حتى اتسعت حدقتاه دهشة وتراخى فكه ذهولاً ! ولكن الشيء الوحيد الذي لبث ثابتا في مكانه إنما هو ذلك المسدس المصوب إلى ناحية "لوبين" .

صاح "ماكس" دون أن يلتفت خلفه :

- ما هذا .. !

فاجابته "فاي ادواردس" قائلة :

- إنه أمر الرفيق الكبير .

اما "لوبين" فقدشعر وهو يستمع إلى هذه الكلمات بانه خرج من الموت إلى الحياة . وتضاعف أمله في النجاة إذ كان تدخل الفتاة في هذه اللحظة كفيلا بان يهيئ له من الوقت فسحة يلتمس فيها مخرجا .

وقال "ماكس" يسالها في صوت بارد :

- ولكن كيف جئت ؟

فاجابته في صوت أشد برودا :

- جئت ماشية .. الم تسمع ما قلت لك .. ؟ إن الرفيق الكبير يأمرك بان تتركه .

فقال "ماكس" في لهجة تدل على الاستغراب :

- ولكنه قتل "جو" .. !

- فليكن .. إن أمر الرفيق الكبير يجب أن ينفذ .

نطقت الفتاة بهذه الجملة في نبرة تنم على انها لا تعبا سواء قتل "جو" أم حشرات مثله .

كان "لوبين" يعرف أن مسدس "جو" لا يزال على الأرض على قيد خطوتين منه ولكن كيف السبيل إليه وهو لو تقدم خطوة واحدة وانحنى لالتقاطه للفت إليه الأنظار ولكشف من جسمه هدفا لمسدس "ماكس" .

ولكنه كان في حاجة إلى هذا المسدس وكان لابد له أن يحتال على الوصول إليه فاخذ يتزحزح من مكانه تدريجيا بوصة بعد بوصة في حركة غير ملحوظة مقتربا من الموضع الذي كان المسدس يلتمع فيه مغتنما فرصة انهماك "ماكس" في التحدث إلى الفتاة .

ولما ملك "ماكس" روعه وزالت عنه دهشة المفاجاة قال يسأل الفتاة في خشونة :

- وما الذي يريد الرفيق الكبير أن نفعله به ؟ هل يريد أن نقبله ؟

- الرفيق الكبير يامرك بأن تتركه .

لم تكن المسافة التي تفصل "لوبين" عن المسدس إذ ذاك لتزيد على ١٥ سم فحرك قدمه حتى لمست المسدس ليتاكد من ان بصره لم يخدعه ثم تهيا للحركة النهائية . فليس عليه الآن إلا ان يترك جثة "جو" وفي الوقت نفسه ينحني على الأرض ويختطف المسدس في اللحظة التي يرى فيها أن "ماكس" حول بصره عنه .

وقال "ماكس" في نبرة فياضة بالغضب :

- كيف أتركه وقد قتل زملاءنا وأصدقاءنا .. كلا يا "فاي" .. قولي للرفيق الكبير إنك وصلت بعد فوات الوقت .. قولي له إنك وصلت فوجدت أننا أجهزنا عليه .. محال أن أخلي سبيل هذا الشيطان

المجنون !

ورفع "ماكس" مسدسه مستعداً لإطلاق النار على "ارسين لوبين" فصاحت به الفتاة :

- لا تكن مجنونا !

وتعلقت بذراعه وجذبت يده إلى أسفل .

وكانت هذه هي الفرصة التي ينشدها "لوبين" فانحنى على الأرض في سرعة البرق واختطف مسدس "جو" واعتدل واقفا وهو يقول :

- ما وصيتك الأخيرة يا "ماكس" ؟

لقد اقسم "لوبين" ان ينفذ القانون وأن يجرد قلبه من الرحمة

وضغط الزناد بإ صبعه فصرخ "ماكس" ثم ترنح وسقط على الأرض جثة هامدة دون أن يتمكن من إطلاق رصاصة واحدة من مسدسه لأن الفتاة كانت لا تزال متعلقة بذراعه على الرغم من محاولته التملص منها .

نظر "لوبين" إلى الجثتين المطروحتين على الأرض وخالجه شعور بالندم فما كان في نيته أن يقتل أحدا من هؤلاء الزعانف وهو لا ينشد إلا الرؤوس الكبيرة ، اما الفتاة فكانت جامدة في مكانها تتامل الجثتين دون أن يتراءى في ملامحها ذرة واحدة من الندم أو الخوف .

ذكره موقفها بتلك الليلة التي قتل فيها "موري و الينو"... بل ذكره بما كان منها منذ ساعة أو ساعتين حين صدر الامر بإعدامه. إنها هي دائما بعينها لا تتغير ولا تتحول .. نفس الجمود ونفس قلة الاكتراث.. كانها قطعة من الصخر وكان لها قلبا لا يشعر ولا يحس .

اقترب منها "لوبين" ونظرإلى عينيها .. ولكن عينيها كانتا جامدتين لا توحيان بشيء .

ولم تتكلم الفتاة ولم يكن "لوبين" ليدري ما ينبغي أن يصنع إذ كان الموقف غريبا شاذا .

حنى راسه في إيماءة خفيفة وهمس قائلا :

– شكرا لك .

وكانت عيناها جامدتين صامتتين .

تكلمت الفتاة قائلة :

– أهذا كل شيء . ؟

وحين سمع صوتها الموسيقي سرت في بدنه تلك النشوة الجارفة التي ما إن سمع صوتها حتى تدفقت في أوصاله .

حرك "لوبين" يديه بشكل يدل على الارتباك وقال :

– هذه هي المرة الثانية التي تنقذين فيها حياتي .. ولست أدري السبب فهل هناك شيء تريدينه ؟

فقاطعته الفتاة بقولها :

– هناك هذا ..

وعلى حين غفلة وقبل أن يدري "لوبين" بما صنعت الفتاة كانت قد القت بذراعيها حول عنقه وفاح من شعرها عبير مسكر طغى على حواسه حتى لقد خيل إليه انه في حلم لا في يقظة .

حملق "لوبين" إلى وجهها دهشا وتمتم قائلا :

– إني آسف .

فتباعدت عنه الفتاة وتراجعت خطوة إلى الوراء ثم امسكت بذراعيه في رفق وهي تقول :

– دعني أر جرحك

ونزعت عنه جاكتته وضمدت الجرح الذي في كتفه بمنديلها ومنديله .

ثم قالت له :

– هيا بنا إلى السيارة .

فقال يسالها :

- ولكن أين السائق ؟

فكان جوابها :

- لقد قتلته !

وحين خرج "لوبين" من باب الحديقة وجد السائق جثة هامدة عند سيارته وبين كتفيه خنجر غارق بين اضلاعه حتى المقبض فعرف السر في أن "هانك" لم يجب حين صاح "ماكس" يناديه .

ولم ينظر "لوبين" إلى وجه الفتاة إذ كان موقنا من ان وجهها يكتسي نفس القناع الصخري الذي يهزأ بالحياة وبالموت على السواء . ذلك القناع الذي لم يرتفع عن وجهها إلا في تلك اللحظة الخاطفة التي طوقته فيها بذراعيها .

تولت "فاي" قيادة السيارة وهي تقول :

- سأذهب بك إلى طبيب أعرفه في حي باساك .

- شكرا لك .

ولما خرجا إلى الطريق العام لم ير "لوبين" السيارة التي كان يتوقع أن تكون الفتاة قد جاءت فيها فقال يسألها :

- ولكن كيف جئت ؟

- اختبأت في الحقيبة الخلفية عندما كانت السيارة واقفة بباب المقهى .

وكانت الرصاصة التي أصابت "لوبين" في كتفه قد جعلت قدراً كبيرا من الدماء ينزف من جرحه فظل طول الطريق صامتا لا يتكلم وقد أدركه الإعياء .

ولما بلغا عيادة الطبيب قال لها "لوبين" :

- يحسن بك أن تنتظري في السيارة حتى أرجع إليك وإلا وشى بك الطبيب إلى زملائك إذا كان ذا صلة بالعصابة .

- كلا .. إنه ليس متصلا بالعصابة .

وكان الطبيب خبيرا بمهنته وخبيرا بالمرضى الذين يعالجهم.
فما وجه إلى "لوبين" سؤالا واحدا عن السبب في إصابته ، وما سأله عن اسمه وما قال إن واجبه يقضي عليه بأن يخطر البوليس.!
ولما فرغ الطبيب من تضميد جرح المصاب وأخرج الرصاصة التي كانت مستقرة في كتفه قال :
- ألف دولار من فضلك !
كانت القيمة كبيرة كأجر لعملية جراحية من هذا النوع ولكنها كانت مناسبة كأجر للكتمان وعدم الفضول، وبحث "لوبين" في جيوبه فذكر أنه لا يحمل مالا إذ جردته العصابة من محفظته فقال :
- إني لا أحمل مالا . فهل ترجئني إلى الغد ؟
- بلا شك .. إلى الغد إذن . ولكن أرجوك أن ترسل المبلغ أوراقًا مالية صغيرة .
وشيع "لوبين" والفتاة إلى الباب .
جلست الفتاة إلى عجلة القيادة وقالت تسأل "لوبين" :
- إلى أين أذهب بك ؟
- إلى نيويورك .
وكان تضميد الجرح قد أفاده وردت إليه الكأس التي قدمها إليه الطبيب بعض قوته التي فقدها فأردف قائلا:
- نعم .. يجب أن نعود إلى نيويورك فإن مهمة الليلة لم تنته بعد -
- ولكني أراك في حالة لا تصلح معها للعمل الليلة .
فهز رأسه في إصرار وقال :
- إني أكره الراحة .
وحدجته الفتاة بنظرة فاحصة وقالت :
- ما الذي جاء بك إلى هذه البلاد ؟
فأخرج "لوبين" بطاقة صغيرة من جيبه ووضعها تحت بصر الفتاة

وهو يقول :

- جئت إلى هذه البلاد لاقتل ستة رجال .. وقد قتلت ثلاثة منهم حتى الآن : "جاك اربول" و"موري والينو" و"ايدي فولسانج" . فلم يبق إلا ثلاثة .

فقالت الفتاة وهي تنظر في البطاقة :

- بل لم يبق إلا اثنان لان "جانسون" هو نفسه "هانك" سائق السيارة إنه يدعى "هانك جانسون" .. ويظهر ان الدور الآن على "داتش كيلمان" .

فحدجها "لوبين" بنظرة فاحصة وهو يقول :

- إن "كيلمان" صديق لك.. فهل تنوين ان تشي بي ؟

فهزت راسها وقالت :

- ليس لي اصدقاء .. ساذهب بك إليه الآن .. فإذا رايته خارجا من المقهى فتقدم إليه .

فابتسم "لوبين" وقال :

- وساؤدي التحية العسكرية اللائقة بمقامه العظيم !

كان "لوبين" يعتقد في إخلاصها وفي انها ستمهد له السبيل لكي ينال "كيلمان" إذ ليس معقولا أن يكون في نيتها استدراجه إلى فخ ينصب له وقد كان في وسعها أن تترك "ماكس" يقتله إذ ما معنى ان تنقذه منذ لحظات لتقوده إلى حتفه في اللحظة التالية ؟

وفي اللحظة التي كانت فيها "فاي" منطلقة بالسيارة إلى مقهى "شارلي" كان "داتش كيلمان" يقول لأعوانه :

- حسبي ما انتظرت . فإذا جاء "جو" و"ماكس" فارسلوهما إلي في داري .

ونهض "كيلمان" واقفا فنهض في اثره الحارسان اللذان يتوليان حمايته والدفاع عنه ضد اعتداء العصابات المنافسة .

ولبث "كيلمان" في داخل المقهى على مقربة من الباب على حين خرج

الحارسان إلى الطريق ينظران يمنة ويسرة ليتاكدا من "نظافة" الطريق.
قال أحد الحارسين يخاطب مولاه :

- الطريق "نظيف" فتفضل .

وخرج "داتش كيلمان" إلى الإفريز وهم بالصعود إلى بسيارته .

وفي تلك اللحظة لاحت سيارة تقترب من المكان . فلما نظر إليها "كيلمان" قال يخاطب الحارسين :

- ها هي ذي سيارة "ماكس" و"جو" .. لقد جاءا في الوقت المناسب .

ولبث واقفا على الإفريز ينتظر دنو السيارة .

ولما صارت على قيد خطوة واحدة منه رأى في نافذتها شبحا .

وكان الوقت أضيق من أن يتسع للتقهقر والفرار .

لقد رأى في النافذة شبح الرجل الذي أرسله إلى حتفه منذ ثلاث ساعات .كان وجهه شاحبا ممتقعا ولكن عينيه كانتا ترسلان وميضا مخيفا !

ودوى في سكون الليل طلق ناري .. وقبل أن يبلغ "داتش كيلمان" الأرض كانت السيارة قد ابتعدت وهي تنهب الأرض صوب الشرق !

بينما كان رجال البوليس يغدون ويروحون حول مقهى شارلي في حيرة وارتباك لا يدرون ما يصنعون كانت "فاي ادواردس" قد أمعنت في الابتعاد حتى إذا بلغت حديقة سنترال بارك أوقفت سيارتها هناك .

ذكر "لوبين" فجاة ليلة جاء فيها إلى نفس المكان ولكن في سيارة أخرى يقودها المفتش "فرساك" .

لم تمض على هذا اللقاء ست وثلاثون ساعة ومع ذلك فقد وقعت في خلالها حوادث جسيمة . وراح "لوبين" يسائل نفسه عما يجول في خاطر "فرساك" في تلك اللحظة وهو يرى هذا البركان الثائر الذي يجتاح العالم السفلي .. هذه العاصفة العاتية التي أخذت تكتسح الأرض فلا تبقي ولا تذر .

من المحتمل أن يكون "فرساك" في هذه اللحظة منطلقا في أرجاء المدينة منقبا في أركانها عن "لوبين" ليرضي باقتناصه اولئك السياسيين الذين يقبضون على زمام الحكم في البلاد والذين يرون في بقائه حيا خطرا جسيما على مقاعدهم في المجالس النيابية .. فلو أنه قدر لهما أن يلتقيا مرة اخرى لما كان حديثهما كسابقه وديا مشربا بروح العطف.

اشعلت "فاي ادواردس" سيجارتها .. ورأى "لوبين" وجهها على ومضة الكبريت كالعهد به دائما جامدا كانه وجه تمثال من الشمع . ولم يكن في عينيها خوف أو اضطراب فقال في نفسه : ليت شعري أيمكن أن تكون هذه الفتاة قد قتلت رجلا منذ ساعة وعاونتني على قتل رجل أخر . ؟

التفتت إليه "فاي" وقالت :

– إن اسمي مدرج في قائمتك فهل تراني ارتكبت إثما .. ؟ لا شك انك تروم مني أمرا فما الذي تبغيه .. ؟ هأنذا أمامك .

فابتسم "لوبين" وقال :

– إني ما كتبت اسمك إلا فضولا مني .. إنك عندي بمثابة لغز غامض .. كنت أسترق السمع وأنت تتحدثين تليفونيا مع القاضي "ناتير" فكانت هذه أول مرة سمعت فيها صوتك .. وكنت أرقبك واتامل وجهك وأنت جالسة مع "موري والينو" .. ولقد أعطيتني المسدس الذي استعنت به على الفرار من مقر العصابة .. فاردت أن أعرف من انت وماذا كنت؟ .. ما ماضيك وحاضرك؟ .. ما الذي دعاك إلى الاندماج في العصابة ؟؟ إني رجل فضولي كما ترين .

فهزت كتفيها وقالت :

– والآن قد عرفت الجواب بالتاكيد ؟

– أتعتقدين ذلك ؟

وما انفرجت شفتا "لوبين" عن هذه الجملة حتى أدركه الندم وعرف ان لسانه قد هفا . إذ تحولت إليه الفتاة ونظرت في عينيه فاسرع يقول :

- عندما ذكرت لـ"ماكس" أن الرفيق الكبير يامره بان يطلق سراحي لم يكن هذا صحيحا .

- وما الذي جعلك تظن هذا ؟

- مجرد تخمين .. ولكنني موقن مما اقول .

نفثت الفتاة من فمها سحابة كثيفة من الدخان وقالت :

- نعم .. لم يكن صحيحا .. إن الرفيق الكبير مدرج في قائمتك فهل تريد أن تظفر به أيضا .. ؟

- بل أكثر من سواه .

- إنك عنيد قوي الإرادة .

- إني أريد أن أكتب الفصل الختامي في هذه الرواية ..

ساد الصمت برهة ومضت الفتاة تدخن وهي غارقة في خواطرها و"لوبين" يرقبها ويتفرس في وجهها وهو يسأل نفسه عما يدعوها إلى الاندماج في هذه البيئات الغارقة في الجثث والدماء .. وأولى بمن كانت على مثل جمالها أن تكون الآن في مخدعها تتجمل وتتزين وتصغي إلى مناجاة العشاق .. ولكنها فيما يلوح من طراز يفهم الموت اكثر مما يفهم الحب ! وتكلمت الفتاة قائلة :

- أظن أن في وسعي أن أرشدك إلى الرفيق الكبير .

وكان صوتها هادئا يدل على قلة الاكتراث كانما تتحدث عن شيء غير ذي بال .

وقال "لوبين" يسألها :

- ولكنك تعرفينه .. اليس كذلك ؟

- إني الشخص الوحيد الذي يعرفه .. !

- إنه لغز عظيم .. اليس كذلك ؟ كم مضى على معرفتك إياه ؟

- قابلته منذ ثلاث سنوات قبل أن يصبح "الرفيق الكبير" بل قبل ان يسمع به إنسان . لقد انتشلني من وهدة الحياة وانقذني مما كنت اكابد من الفقر والفاقة .. لقد حدثني بفكرته فراقت لي إذ كانت فكرة سديدة مدهشة، واستطعت ان أمد إليه يد المعونة بان جمعت حوله افراد العصابة ولكنهم لم يتصلوا به مباشرة وإنما عن طريقي .. وهكذا كنت حلقة الاتصال بينه وبينهم حتى الليلة .

- اتقصدين انك اعتزلت العمل ؟

- لا .. كل ما هنالك اني غيرت رايي .

ساد الصمت برهة ثم قال "لوبين" :

- لا شك انه رجل عظيم !

- إنه عظيم .. عندما بدا يعمل كنت اعتقد انه لن يستمر اكثر من أسبوع واحد على الرغم من سداد فكرته فإن الفكرة السليمة ليست كل شيء في مهنتنا هذه .. لابد للزعيم من أن يكون ذا شخصية جارفة قوية .. والرفيق الكبير مجرد من الشخصية .. ولا شك انه يعرف ذلك عن نفسه . ولعل هذا هو ما دعاه إلى الاختفاء والتستر مكتفيا بمخاطبة عصابته عن طريقي .. بل إنه لم يفكر يوما في أن يخاطب العصابة بنفسه تليفونيا .. إنه رجل جبار في أحلامه ضئيل منكمش في الحياة ، لو انهم راوه لا حتقروه وازدروه فكانت حكمة منه انه اختفى جاعلا مني حلقة للاتصال متخذا لنفسه لقب الرفيق الكبير .

عاد "لوبين" يسالها بقوله :

- الم يحاول أحد من رجال العصابة ان يكتشف شخصيته ؟

- لقد تعددت المحاولات التي من هذا القبيل ، ولكنها باءت كلها بالخسران . لقد اقدم "موري و الينو" على هذه المحاولة .. وكذلك فعل "كيلمان" . وما تركا حيلة إلا عمدا إليها .. ولكنهما لم يظفرا بشيء ..

وله في دفع اجور افراد العصابة طريقة ملتوية لا تمكن احدا من معرفته ..

وعلى الرغم من ان جزءا كبيرًا من اموال الفدية والإتاوات المختلفة التي تدفع لاعوانه على الرغم من انها أوراق مالية كبيرة يمكن تتبعها إلا انه ظل مع عصابته بعيدا عن الريب والشبهات .. نعم إنه ذكي حريص .

ولم يكن هناك ما يدعو إلى الغرابة فيما ذكرته الفتاة فقد يكون الرجل جبارا إذا خلا بنفسه .. ضعيفا إذا ما واجه الجماهير .. والرفيق الكبير من هذا الطراز .. يستطيع ان يدير ويحرك العصابة . ولكن من وراء ستار .. إنه رجل لا شخصية له .

ولكن السؤال الذي كان لا يزال يتردد في ذهنه وابى "ماكس" ان يجيب عنه هو : كيف بدأ الرفيق الكبير عمله ؟

ابتسمت الفتاة وقالت :

- بمائة الف دولار . كان هذا هو راس ماله . لقد اوفدني إلى "موري و الينو" لانبئه بانه - اي الرفيق الكبير - يريد ان يختطف رجلا معينا لقاء خمسين الف دولار ..اغتبط "والينو" لهذا الاجر الضخم ، لان العصابة ما كانت لترفض القيام بهذا العمل لوانها نقدت عشرة الاف دولار ... وزود الرفيق الكبير "والينو" بالمعلومات التي لابد منها ليتم الاختطاف دون ان تتعرض العصابة لاي خطر..

وكانت هذه المعلومات من الدقة والإحكام بحيث تم اختطاف الرجل في الساعة المحددة دون ان يستهدف احد لاي نوع من انواع الخطر . واضطر الرجل ان يفتدي نفسه بمبلغ دفعه إلى "والينو" .. ولكن "والينو" كان يعرف ان نجاح هذه الخطة إنما استند إلى المعلومات التي زودهم بها الرفيق الكبير .. وكذلك اتصل الرفيق الكبير عن طريقي بـ"داتش كيلمان" وعهد إليه باختطاف رجل آخر لقاء نفس الاجر . وتم

هذا الحادث ايضا بنفس النجاح الذي تم به سابقه فلم يكن أسهل إذ ذاك من أن يجمع الرفيق الكبير تحت ظله "والينو" وعصابته و"كيلمان" وعصابته فالف من بينهما عصابة واحدة تاتمر بامره وتنفذ ما يشير به دون تردد ودون أن يفكر أحد منهم في الانفراد بنفسه وهم يعلمون أن نجاحهم متوقف على المعلومات الدقيقة التي يزودهم بها الرفيق الكبير .. ومن هذا ترى كيف استهل حياته .. ورجال العصابات كما تعلم قد يكونون مفطورين على الجراة ، ولكنهم ليسوا مفطورين على الذكاء .. قد يستطيع الواحد منهم أن ينطلق في الطريق ومسدسه في يده يقذف بالنيران يمنة ويسرة دون أن يهاب شيئا . ولكنه لا يستطيع لحظة واحدة أن يفكر أو أن يضع خطة سديدة .. فكانت مهمة رجال العصابات أن يطلقوا النار ، أما مهمة الرفيق الكبير فكانت أن ينبئهم عن الساعة التي يطلقون فيها النار والمكان الذي تطلق فيه .

وهكذا عرف "لوبين" جواب السؤال الذي ينشده .. السر الذي جعل رجال العصابات يخضعون للرفيق الكبير ولا يفكرون في الغدر به .

قال "لوبين" يسالها :

– وعلى هذا المنوال استمر العمل ؟

– نعم .. ولكن مع فرق ضئيل .. لو أن الرفيق الكبير استمر يستاجر "والينو" و"كيلمان" وعصابتيهما للقيام باعمال فردية من هذا القبيل لقاء أجر معين لارتفع هذا الأجر تدريجيا إلى درجة يستحيل معها مواصلة العمل .. فرأى أن يعدل عن خطة الاستئجار إلى خطة أخرى قائمة على أساس اقتصادي .. لماذا لا يجعلهم شركاء له .. ؟ وهذا هو ما حدث فعلا .. لقد اتفق مع زعميي العصابتين على أن ينقدهما مرتبا شهريا ثابتا للإنفاق منه وسد الحاجات الضرورية. أما ما بقي من مبالغ الفدية فيودع بنكا معينا حتى إذا انقضت ثلاث سنوات وزع الرصيد بالتساوي بين الأفراد ...لقد كان عددهم سبعة قبل حضورك ..

أما الآن فلم يبق منهم إلا اثنان .. وهذا معناه أن الرفيق الكبير وصاحبه "كيرلي ايبولينو" سيقتسمان الرصيد معا على قدم المساواة.. فموت هؤلاء الأفراد كان نعمة كبيرة على الرفيق الكبير وصاحبه اللذين لا يزالان على قيد الحياة لأنهما سيصبحان الوريثين الوحيدين للفديات المتراكمة التي بلغت عشرين مليونا من الدولارات.

فابتسم "لوبين" وقال :

- هذا إذا بقيا على قيد الحياة .. ولكن أين "كيرلي ايبولينو" ؟ إني لم أعثر عليه بعد.

- لقد سمعت أنه في بتسبرج ولست أدري الحقيقة .

وابتسم "لوبين" وقال في نفسه : يا لسخرية الأقدار .. ! لقد جئت هذه البلاد لأقضي على الرفيق الكبير فإذا بي اخدمه عن غير قصد بتخلصه من شركائه في الميراث .. ! ليت شعري هل خطر ببال "فالكروس" وهو يستنجد بي أني سأخدم بعملي غرضين متناقضين : العدالة .. والجريمة .. !

التفتت "فاي ادواردس" إلى "لوبين" وقالت :

- أتريد أن تعرف شيئا آخر ؟

- بل أشياء كثيرة .. يمكنك أن تقولي لي من هو الرفيق الكبير .

فهزت رأسها وقالت :

- لا يمكنني .

- ولكنك قلت إنك سترشدينني إليه .

- بل قلت إني "أظن" أن في وسعي أن أرشدك إليه .. إني لا أزال مترددة .. لقد وعدته بأن أكتم اسمه عن كل إنسان .

أشعل "لوبين" سيجارة جذب منها بضعة أنفاس ثم قال :

- لنفرض أني قابلتك صدفة وأنت مع الرفيق الكبير فاستنتجت أن هذا هو صاحبي المنشود دون أن ترشديني أنت إلى ذلك.. فهل يثور

عليك ضميرك ؟

- لا بالتاكيد .. لقد وعدته بالا اشي باسمه وهذا كل ما هنالك .

- شكرا لك .. إني راض إذن بان ترشديني إلى مكان يتردد عليه الرفيق الكبير .. وليكن في هذا المكان مائة شخص او الف فإني لن أعجز عن تمييزه من بينهم .

فحنت راسها وقالت :

- سافعل .

ثم القت بسيجارتها من نافذة السيارة وقالت في صوت هادئ ثابت:

- لقد سمعت عنك فور وصولك .. وكنت اتمنى ان اراك ، فلما رايتك لم أعد أعبا بشيء في الدنيا .. اصبحت أنت في عيني الدنيا باسرها.. . لقد انتظرتك طول حياتي فهل اتخلى عنك او اتردد في امر يتصل بك.. لقد كانت حياتي جدباء أما الآن ...

كان "لوبين" في حيرة من أمره وهو يصغي إلى هذه الكلمات ! لم يكن في إمكانه أن يلقي بذراعيه حول عنقها ويجتذبها إلى صدره وهناك في انجلترا فتاة أخرى تنتظر عودته بفروغ صبر .. ولم يكن في إمكانه أيضا أن يقول لها إنه ليس خلي القلب .

ولكنها لم تكن تنتظر منه جوابا .. كانت كانما تخاطب نفسها بهذه الكلمات، فما انفرجت عنها شفتاها حتى انطلقت ثانية بالسيارة وهي تقول مغيرة مجرى الحديث :

- إن الرفيق الكبير معجب بك أشد الإعجاب .. ولشد ما كان يتمنى ان يضمك إلى رجاله .. ولكنه كان يعلم أن العصابة ناقمة عليك لفتكك ببعض افرادها فاوصاني بان اترفق بك إذا وقعت في أيديهم وأن احاول أن أحميك وانقذك من نقمتهم .. لقد كان يعتقد أنه سيجيء يوم يتمكن فيه من أن يضمك إليه .

اوقفت السيارة في شارع "لكسنجتون" وهي تقول :

- أين نلتقي ؟
- ومتى يكون هذا اللقاء ؟
- إني أعتقد أني ساتيك ببعض الأنباء بعد ساعتين او ثلاث .
ففكر "لوبين" برهة ثم قال :
- اتعرفين مطعم "كريس بلليني" في الشارع رقم ٤٥.. ؟ قد لا أكون موجودا هناك ولكن في وسعك ان تتركي لي مع صاحب المطعم أي رسالة تشائين .. إنه رجل مامون الجانب .
فوضعت يدها في رفق على كتفه وهي تقول :
- إلى اللقاء إذن .
رفعت وجهها إليه .. وفاح في شعرها العطر المسكر، وسرت في أوصاله نشوة ثملة .. ومال فوقها "لوبين" وقبلها ..
همست الفتاة وهي تقول في صوت رقيق :
- إلى اللقاء .
مشى "لوبين" إلى الفندق وهو غارق في خواطره .
كان يفكر في هذه الفتاة الغامضة التي تخلت عن ماضيها واولت ظهرها للرفيق الكبير خضوعا لنداء الحب .
ثم عاد يذكر الرفيق الكبير . ذلك اللغز الخفي الذي يتستر بالظلام دون أن يدري أحد من أمره شيئا . ولكن "لوبين" سيكشف شخصيته في تلك الليلة .. فبعد ساعتين او ثلاث ستحمل إليه أسلاك التليفون الرسالة التي يتلهف عليها وعندها تضع الحرب أوزارها .
وبينما كان المصعد يشق طريقه إلى الطابق الاخير من فندق استوريا كان "لوبين" لا يزال غارقا في هذه الخواطر .
وحين فتح باب المسكن راى الأنوار مضاءة في جميع الغرف ولكنه لم يسمع صوت "فالكروس" يحييه كالمعتاد فقال في نفسه :- لا ريب أنه اقام في انتظاري طويلا فغلبه النوم وهو في مقعده .

دفع باب قاعة الاستقبال ودخل . وكانت مضاءة أيضا شأن بقية الغرف .

شعر بحركة في ركن القاعة فظن أن "فالكروس" شعر بقدومه فنهض لاستقباله ، ولكنه حين التفت رأى أن "فالكروس" لم يكن أحد الرجلين اللذين هبا لاستقباله !

رفع "لوبين" يده على عجل ليطفئ نور القاعة فشعر في الحال بوخزة اليمة في ذراعه .. ولأول مرة منذ ثلاث ساعات ذكر الرصاصة التي أصابت كتفه .. ! لقد جعلت عضلاته متصلبة عاجزة عن سرعة الحركة. فقبل أن تبلغ يده الزر الكهربي كان هناك مسدس قد صوب إليه . وسمع صوتا يقول :

- إياك أن تتحرك .. وإلا فالويل لك .. !

* * *

الفصل الرابع

التفت "لوبين" إلى الرجلين وقال :

- يا للمفاجأة السعيدة .. ! إني أحب دائما ان استقبل اصدقائي على غير انتظار .. !

ولقد نطق بهذه الجملة في هدوء وقلة اكتراث ولكن ادهشه تهدج صوته .

القى نظرة إلى المقعد الكبير الذي اعتاد ان يرى "بيل فالكروس" جالسا عليه ، وقال :

- ولكن ماذا فعلتم بـ"بيل" . ؟

فصاح الرجل البدين :

- من هو "بيل" .. ؟

فابتسم "لوبين" وقال :

- إني آسف .. لا تهتما بما اقول .. "بيل" مجرد اسم خيالي .. ولكن لا داعي لأن تذكرا لي اسميكما .. فانت بضخامتك لابد ان تكون "هاردي" وصاحبك الضئيل الهزيل لابد أن يكون "لوريل" .. ! مرحبا بكما يا "لوريل "و"هاردي" .. لقد رأيت كثيرا من افلامكما..

هذا اللقاء فرصة سعيدة .

فتبادل الرجلان نظرة غيظ وقال الذي نعته "لوبين" بانه "لوريل":

- إنه مجنون . لابد ان يكون مجنونا .. !

ولقد سمع "لوبين" عشرات من الناس ينعتونه بالجنون فكان لا يحفل بما يقولون .. اما الآن ولأول مرة فقد ادرك انه مجنون حقا..

فلو لم يكن مجنونا لما دخل المسكن دون أن يتخذ اية حيطة . لو لم يكن مجنونا لرابه رؤية الانوار مضاءة في جميع الغرف . ولكنه كان مجنونا .. وكان منهكما في التفكير بسبب المقابلة المنتظرة بينه وبين الرفيق الكبير . وجعل يتامل الرجل في اهتمام .

وتقدم "هاردي" إلى وسط الغرفة ودار حول المائدة وشرع يفتش "لوبين" فجرده من مسدسه ورماه إلى صاحبه ثم وضع مسدسه الخاص في جيبه وهو يقول في صوت أجش :

- والآن ما اسمك .. ؟

فقال "لوبين" في صوت مرح :

- إنهم يسمونني "رودلف فالنتينو" .. فما اسمك أنت .. ؟

فقطب الرجل البدين جبينه وقست عيناه وقال مزمجرا :

- إنك تعرفنا بالتاكيد .

- لم أتشرف بعد بمعرفتكما .. لقد خمنت أنكما "لوريل" و"هاردي" ولكن يظهر أني كنت مخطئا .

- إنني ادعى "كيتري" .. وهذا هو البوليس السري "بوناشي" .. إننا من رجال البوليس.. فهل أنت راض .. ؟

وكان الرضاء اقل ما يمكن أن يوصف به شعور "ارسين لوبين" في هذه اللحظة فما خطر له عند دخوله الغرفة أن هذين الرجلين من الشرطة .. بل ظن انهما من رجال العصابة جاءا ليفتكا به . وكان يتوقع ما بين لحظة واخرى أن يرى سيلا من النار ينهمر من المسدسات ليرديه قتيلا .

نظر "لوبين" إلى حذائي الرجلين الضخمين وقال :

- لقد خمنت هذا .. إن الحذاء الضخم هو بطاقة رجال البوليس. إني سعيد بقدومكما فلا شك أن رسالتي بلغتكما ؟

- أية رسالة .. ؟

- الرسالة التي دعوتكما فيها إلى الحضور .

فضاقت عينا "كيتري" وقال :

- هل أنت صاحب هذه الرسالة ؟

- بكل تأكيد .. لقد كنت مشغولا فعهدت إلى صديق لي بان يؤديها بالنيابة عني .

فهز الشرطي الضخم رأسه وقال :

- هذا بديع .. ! ولماذا أردت أن تستدعينا ؟

لم يكن "لوبين" في الواقع قد انفذ إليهما رسالة كماادعى ولكنه تعمد أن يقول ذلك ليستدرجهما إلى الحديث حتى يتبين الحقيقة .

ولكن من الذي وشى به وارشد البوليس إلى هذا المسكن ..؟ "فاي ادواردس" ؟ ولكنها لا تعرف مخباه .. ؟ سائق السيارة الذي أركبه يوم مصرع "بابيلوس" ..ولكن كيف عرف السائق المخبا وقد حرص "لوبين" على تضليله ؟

وعاد "كيتري" يقول مرددا سؤاله :

- لماذا استدعيتنا .. ؟

- لقد ظننت انه يهمكما ان تعرفا نبا عن الرفيق الكبير .

فقال الشرطي في شيء من الدهشة :

- حقا .. !

ثم استحالت دهشته غضبا وصاح في صوت مدو كالرعد :

- أيها الكذاب القذر .. هل تهزأ بي .. ؟ لقد قال صاحب الرسالة التليفونية : "إنني الرفيق الكبير .. ستجدون "ارسين لوبين" في الطابق الذي يشغله مستر "فالكروس" في فندق استوريا..

عليكم به فقد ضقت به ذرعا .. "

فهز "لوبين" رأسه وقال :

- لابد انه كان سكران .

ولكنه عرف أن الذي وشى به هو الرفيق الكبير .. ولكن كيف اهتدى إلى مخبئه .. !

كان "كيتري" يحدق إلى وجه "لوبين" فقال بغتة :

- لقد عرفتك .. انت "ارسين لوبين" .

فتمتم "لوبين" قائلا :

- اهنئك أيها الأخ . إنك دقيق الملاحظة متوقد الذكاء.فلم يرق هذا المزاح في نظر الشرطي واحمر وجهه غضبا وصاح قائلا :

- امزح ما شئت فبعد قليل سيجيء دوري في المزاح .. أولى بك أن تجيب عما تسال عنه في صدق وصراحة قبل أن يستولي علي الغضب.

حنى "لوبين" رأسه دون أن يتكلم . كان يفكر في مصيره ومستقبله .. اتكون هذه هي النهاية .. ؟ اقضي عليه بان يختتم حياته بهذه الهزيمة السخيفة ؟ لقد نجا عشرات المرات من شرطة يعدون اذكى قوم في العالم فهل يقع فريسة سهلة بين أيدي هذين الغبيين .. ؟

وتكلم "لوبين" قائلا:

- وما الأسئلة التي تريد ان توجهها إليّ ؟

فصاح "كيتري" قائلا :

- أين ذلك المدعو "فالكروس" ؟

- لا أدري .

وكان "لوبين" صادقا في هذا الجواب .

وقبل أن يدري ما حدث كان "كيتري" قد رفع قبضته الضخمة وسدد إلى فكه لكمة جعلته يترنح ويصطدم بالجدار خلفه .

صاح "كيتري" للمرة الثانية :

- أين "فالكروس" ؟

للمرة الثانية أجاب "لوبين" قائلا :

- لا أدري !

ولكنه عقب بقوله :

لقد رأيته آخر مرة في قفص القرود بحديقة الحيوانات متنكرا على هيئة رجال البوليس السري !

وللمرة الثانية ارتفعت يد "كيتري" ولكمت "لوبين" فاستند المسكين إلى الباب خشية السقوط إذ كان على غاية من الإعياء بسبب ما نزف الدماء .

- قلت لك أين "فالكروس" ؟

هز "لوبين" رأسه دون أن يتكلم لأن سمعه كان يطن وعينيه كانتا زائغتين وقوته تكاد تخونه . ولكن "كيتري" لم يكن يعرف معنى للرحمة فصاح في صوت غاضب قائلا :

- إذن فأنت لا تنوي أن تتكلم .. ؟

فقال "لوبين" في كلمات متقطعة :

- إن من عادتي الا اتكلم مع القرود .. إذا كنت تعتقد أنك باللكمات تصبح شرطيا سريا فانت بلا شك انبغ رجال الشرطة .

احمرت عينا "كيتري" وصاح :

- إني ساعرف كيف أرغمك على الكلام .

ورفع يده للمرة الثالثة ولكم "لوبين" في فكه فترنح وأمسك بالمائدة لكيلا يقع على الأرض .

دنا منه "كيتري" واخذ بتلابيبه وجعل يهزه هزا عنيفا . ولأول مرة فطن إلى الدماء التي تلوث ثيابه وإلى الضمادات المعقودة حول كتفه فقال في غلظة :

- كيف أصابك هذا الجرح ؟

- عضتني نملة !

امسك "كيتري" بذراع "لوبين" المصابة ولواها خلف ظهره في عنف . فاحس "لوبين" بالم شديد يسري في بدنه وشعر كانما يوشك أن يفقد الوعي وكان موقنا أن احتماله لن يطول ولكن رجال البوليس الأمريكي ما كانوا ليرحموا إنسانا حتى ولو راوه مسجى على فراش الموت إذ لابد من أن ينتزعوا منه الاعترافات باتباعهم الطريقة التي يطلقون عليها "الدرجة الثالثة" .. وهي طريقة تقتضي منهم أن يضربوا المتهم بهراوة من المطاط وأن يرغموه على عدم النوم وأن يلووا ذراعه خلف ظهره ولو كان جريحا تقطر منه الدماء .

وفي تلك اللحظة دق جرس الباب فقال "كيتري" مخاطبا زميله .

- انظر من الطارق .

خرج "بوناشي" إلى الردهة بينما ظل "كيتري" قابضا على ذراع

"لوبين" وهو يلويه خلف ظهره منتظراً دخول القادم .

ولم يكن القادم إلا المفتش "فرساك" !

وقف "فرساك" على عتبة الغرفة وازاح قبعته إلى الوراء واخذ المكان بنظرة شاملة ولم يكن في وجهه ما ينم عن الدهشة او العجب.

وقال في صوت بارد :

- ما هذا . ؟

فاجابه "كيتري" في لهجة تدل على الزهو :

- لقد اقتنصنا "ارسين لوبين" ولكن المدعو "فالكروس" غير موجود الآن . ولكنني ساعرف كيف أرغم هذا الأخرس على الكلام . لقد شرعت أجرب معه الدرجة الثالثة .

فصاح المفتش "فرساك" في صوت يدوي كالرعد :

- ماذا تقول ؟ شرعت تجرب معه الدرجة الثالثة ؟ يا لك من مجنون! من علمك أن تفعل هذا هنا ؟

فازدرد "كيتري" ريقه وقال في ارتباك :

- ولكنه لا يريد أن يتكلم ايها الرئيس . كان يمزح ويهزا بنا كان الأمر هزل لا جد . وكنت اريد أن أعرف أين ذهب "فالكروس" .

فقال "فرساك" متهكما :

- وهل هذا هو ما تعلمته في إدارة البوليس.. يا لها من فكرة بديعة! استمر في عملك يا "كيتري" . يمكنك ان تقلب المقاعد والموائد .. يمكنك أن تدق الطبول وتقرع الأجراس .. يمكنك أن توقظ اهل الفندق جميعا وأن تستدعي مخبري الصحف حتى يشهدوا كيف يعذب البوليس المتهمين ، يا لك من غبي . ! أهذا مكان يصلح "للدرجة

الثالثة".؟

انكمش "كيتري" الضخم العملاق امام كلمات رئيسه ، وصاح "فرساك" قائلا :

- دع "لوبين" واستدع إحدى السيارات وانتظرني عند الباب حتى انزل إليك .. اما انت يا "بوناشي" فانتظر "فالكروس" هنا حتى يحضر .

وكان "لوبين" شديد الإعجاب بما لـ"فرساك" من الباس في نظر مرؤوسيه فقد خرج "كيتري" من القاعة وهو يتعثر في خطواته على حين انزوى "بوناشي" في أحد الأركان .

نظر "فرساك" إلى "لوبين" طويلا ورأى الدماء العالقة بثوبه ولكن وجهه كان على عهده جامدا لا ينم عن شيء كانه نحت من الجرانيت . !

ثم قال فجأة :

- تعال معي .

اخذ بذراع "لوبين" وقاده إلى المصعد فهبطا إلى الطابق الأرضي دون أن يتبادلا كلمة واحدة .

كان "كيتري" في انتظارهما داخل السيارة فصعدا إليها وأمر المفتش السائق بالمسير .

وبعد فترة من الوقت وقفت السيارة فخرج منها "فرساك" وقال :

- انزل هنا .. لقد وصلنا .

كان "لوبين" يتوقع أن يجد نفسه أمام المركز العام لإدارة البوليس ولكن "فرساك" التفت إليه وإلى "كيتري" وقال :

- هذا هو مسكني . !

ثم وجه حديثه إلى "كيتري" قائلا :

- يمكنك أن تنصرف يا "كيتري" على أن ترجع إليّ في الصباح فإن لي حديثا مع "لوبين" . طاب مساؤك .

ثم اخذ بذراع "لوبين" ثانية وقاده إلى داخل المنزل تاركاً وراءه "كيتري" مذهولا يسائل نفسه عن السر في هذا السلوك الشاذ الذي ظهر به رئيسه .

وعندما دخل "لوبين" إلى المسكن أدهشه أن يجد قاعة الاستقبال عامرة بالكتب إذ المعروف عن رجال البوليس أنهم أقل الناس شغفا بالاطلاع والقراءة وفطن "فرساك" إلى دهشة أسيره فقال :

- على المرء أن يطلب العلم ولو كان في أرذل العمر . إنني مولع بالأدب الإغريقي القديم . ألم تسمع من قبل عن شاعر يدعى "هوميروس" . ؟ لقد سألت عنه موظفا في إحدى الشركات فأكد لي أنه لابد أن يكون من زعماء العصابات في "شيكاغو" .

وعلق "فرساك" قبعته على الشماعة وتناول زجاجة من فوق المائدة وقال :

- هل لك في قدح من العصير . ؟

- شكرا لك .

وصب "فرساك" العصير في كاس صغيرة وقدمها إلى "لوبين" بينما اشعل سيجارة واخذ يدخن في هدوء .

ثم قال فجاة في اقتضاب :

- إنك مجنون يا "لوبين" .. !

فهز "لوبين" كتفيه وقال :

- ألسنا كلنا مجانين .. ؟

- لقد اردت أن اقول إنك اكبر المجانين .. ! لقد تحدثت إليك مرة وانذرتك بما سيكون ولا شك انك تعرف الآن ما يقضي به علي الواجب.

فصاح "لوبين" في صوت غاضب :

- إني أعرف .. ومن يقابل مساعدك "كيتري" لابد أن يعرف .. هيا أعد الهراوة وجهز آلات التعذيب .. !

فقال "فرساك" في صوت هادئ :

- لقد عرفنا بالتجربة ان "الدرجة الثالثة" اصلح وسيلة لانتزاع الاعترافات من المجرمين .. ولكنني لا احب أن استعملها مع جميع الناس بلا استثناء .. لقد اتيت بك إلى بيتي لنتحدث في مسالة اخرى.. الم تقترب بعد من الرفيق الكبير . ؟

القى "فرساك" السؤال في صراحة دون مواربة فاثر "لوبين" أن يعمد في جوابه إلى نفس هذه الصراحة فقال :

- إني انتظر رسالة تليفونية تصلني بعد ساعة .. وستكون هذه الرسالة طريقي إلى الرفيق الكبير .

هز "فرساك" راسه وجعل يتفرس برهة في وجه "لوبين" ثم قال: - لن اسالك كيف بلغت في ابحاثك هذه المرحلة .. ولن اسالك عن اسم الشخص الذي سياتيك بهذه الرسالة .. إني أعرف انك داهية أريب .

ساد الصمت برهة ثم مد "فرساك" يده في جيبه واخرج مسدسه وهو يقول :

- إن للمسدسات نفعا عظيما في مثل هذه المعارك فلو لم يصبك هذا الجرح الذي في كتفك لما استحال عليك أن تتخلص من "كيتري" و"بوناشي" .

ولوح بمسدسه وهو يقول :

- ولو كان هذا المسدس في يدك الآن لعرفت كيف تتخلص مني .

ثم وضع المسدس على المائدة في غير اكتراث .

كان المسدس على قيد ياردتين او ثلاث من قبضة "لوبين" فلو انه شاء لما تعذر عليه أن يختطفه ، ولكنه بدلا من ذلك تناول كاسه ورشف منه جرعة وهو يقول :

- "فرساك" .. اتريد أن تلعب معي لعبة القط والفار . ؟

استرسل "فرساك" يقول كانما لم يسمع هذه الجملة :

- لو أنك اختطفت هذا المسدس الآن لأوقعتني في مازق حرج لا ادري كيف الخلاص منه لا سيما بعد أن أتيت بك إلى بيتي وامرت "كيتري" بالانصراف فإن اللوائح تحرم على رجال البوليس ان يذهبوا بالمتهمين إلى دورهم . وفضلا عن هذا فقد كان ينبغي أن امر "كيتري" بالبقاء لينضم إلي إذا خطر لك أن تتخلص مني .. فإذا حدث الآن انك هربت فلن يصفح عني رؤسائي ولن استمر في منصبي يوما واحدا .. الست معي في ذلك يا "لوبين" . ؟

لبث "لوبين" مكانه صامتا لا يتكلم وهو يدخن سيجارته .

ونهض "فرساك" واقفا ومشى إلى ركن الغرفة وفتح دولابا صغيرا قائما هناك لياتي بصندوق السجائر .

كان المسدس لا يزال على المنضدة في متناول يد "ارسين لوبين" وكان "فرساك" موليا ظهره نحوه لا يلتفت إليه .. فلو ان "لوبين" مديده واخذ المسدس لما رآه "فرساك" .. ولو رآه لاستحال عليه ان يمنعه .

رجع "فرساك" إلى مقعده وكان المسدس لا يزال في موضعه على

المنضدة فقال يخاطب "لوبين" :

- حقا إنك رجل شريف .

تكلم "لوبين" للمرة الأولى فقال :

- لنفرض انك اقتنصت الرفيق الكبير فهل لذلك فائدة . ؟ ليس في نيويورك من رآه أو عرفه فكيف تثبت ضده التهمة . ؟ من أين لك الشهود الذين يقسمون بأن هذا هو الرفيق الكبير . ؟

فقال "فرساك" في صوت ذي نبرة كانهاحد السيف :

- إني لست في حاجة إلى الشهود .. إذا جاءني رجل مثلك وقدم إلي شخصا وقال : "هذا هو الرفيق الكبير" فقد كفاني هذا برهانا قاطعا .. إني أومن بكل كلمة ينطق بها رجل مثلك .. وإذا ما وقع الرفيق الكبير في يدي عرفت كيف انتزع منه عترافا كاملا .. إن "الدرجة الثالثة" لم تخلق عبثا .

أطفأ "لوبين" سيجارته في المنفضة وقد سرت في عروقه دماء جديدة.. وخيل إليه - على الرغم من قوته المنهوكة - انه أصبح اهلا للقتال .. ودوت في أذنيه طبول الحرب، وذهب عنه هذا الضعف الذي كان يشعر به حتى لقد خيل إليه أن الدماء التي نزفت من جرحه جددت نشاطه ولم تنهكه .

كان يشعر في هذه اللحظة بانه ليس اهلا لمقاتلة الرفيق الكبير فحسب . وإنما لمقاتلة عشرات من أمثاله .

نهض واقفا وتناول المسدس فدسه في جيبه وقال مخاطبا "فرساك":

- شكرا لك .. ساعود إليك في الساعة العاشرة صباحا .. مع الرفيق الكبير أو بدونه .. !

فقال "فرساك" :

- إلى اللقاء إذن.. وأرجو لك التوفيق. وبعد دقائق كان "ارسين لوبين" يغادر البيت و"فرساك" يوصد الباب خلفه .

* * *

لم يكد "لوبين" يدق الجرس حتى فتحت كوة صغيرة في الباب ظهر خلفها "كريس بلليني" فعرف زائره على الفور واستقبله في ترحاب ملموس :

- ادخل يا مسيو "لوبين" .. إني سعيد بأن أراك مرة اخرى. ومشى أمامه صوب القاعة فقال له "لوبين" :

- هل لديك أحد ؟

فهز "كريس" راسه وقال :

- إن الشيء الذي يحيرني هو بقاؤك حيا حتى اليوم .

كان "كريس" وهو يتكلم يتظاهر بعدم الاهتمام والمرح . ولكن لم يخف على "لوبين" أن نبرات صوته تنم على قلقه وانزعاجه فقال له :

- كن مطمئنا .. إن هذه الإصابة لن تقتلني .. قال الطبيب إني قد أصاب بحمى خفيفة .. وهذا هو الشر الوحيد الذي انزلته بي هذه الرصاصة .

وفي هذه اللحظة دق التليفون فانبعث "لوبين" واقفا وهو يقول :

- أظن أن هذا النداء لي ..

تناول السماعة ووضعها على اذنه فسمع صوتا خشنا يقول :

- هالو .. أهذه انت يا "مابيل" ؟

فقال "لوبين" في حنق :

- لا .. إنني لست "مابيل" .. وإني أرجو إذا عثرت عليها أن تغمد خنجرا في صدرك !

ورد السماعة إلى مكانها في الوقت الذي كان فيه مستر "بانج" يسب ويلعن عند الطرف الآخر من السلك .

رجع "لوبين" إلى مقعده في خطوات بطيئة متراخية تدل على الإعياء إذ كان مفعول الحمى قد بدأ يتحرك فضلا عن الصدمة العصبية التي اصابته حين خاب رجاؤه في الحديث التليفوني، وبعد عشر دقائق دق الجرس مرة ثانية فنهض واقفا ، وقد تجدد نشاطه ، ولما تناول السماعة سمع صوتا نسائيا يقول :

- إنني "فاي" .

ووثب قلب "لوبين" في صدره واشتدت قبضته على السماعة والصقها باذنه بشدة كانما يخشى أن تفلت منه الكلمات .

قال "لوبين" يسالها :

- ما وراءك من الأنباء ؟

- لقد بحثت عنه طويلا فلم اهتد إليه بعد .. ولكني تركت له أكثر من رسالة واغلب ظني اني ساراه الليلة ولو لبثت ساهرة حتى الصباح .

- إذن ساظل في انتظارك هنا .

فقالت الفتاة في رفق :

- يحسن بك أن تنشد شيئا من الراحة

كان صوتها موسيقيا عذبافياضًا بالحنان والرحمة .

واجابها "لوبين" بقوله :

- لن تطيب لي الراحة إلا إذا اهتديت إليه .

ولما رجع إلى مقعده قال له "كريس" :

- إنك بادي الإعياء فلم لا تنام قليلا ..؟ إن لدي فراشا في الطابق الأعلى .

- ومن يلبي التليفون إذا استدعاني ؟

- إن نومي خفيف فكن مطمئنا .

تردد "لوبين" قليلا ولكنه كان يشعر بمسيس الحاجة إلى الراحة. وفضلا عن هذا لم يكن في وسعه أن يعمل شيئا إلا إذا بلغته رسالة "فاي ادواردس" فلن يفيده شيئا بقاؤه مستيقظا .

* * *

استيقظ "لوبين" في الصباح والشمس تغمر الأرض "وبلليني"واقف عند رأسه يناديه .

فلما فتح عينيه قال له الإيطالي :

- إنك مطلوب على التليفون .

فنظر "لوبين" في ساعته فوجد أنها تشير إلى الثامنة صباحا، فنهض مسرعا ونزل إلى الطابق الأرضي وهو يحس أنه استرد نشاطه وقوته .

ولما وضع السماعة على أذنه سمع الصوت الموسيقي المحبوب يقول:

- لقد سرني أنك نمت واسترحت .

قال "لوبين" مجيبا :

- لقد أفادني النوم قوة و نشاطا وفي وسعي الآن أن أقاتل ثورا فما لديك من الأنباء يا "فاي" ؟

- هل يمكنك أن تذهب في الساعة التاسعة إلى بنك "فاندريك" ؟ إني

اعتقد انك ستجد هناك من تبحث عنه .

فوثب قلب "لوبين" فرحا ولبث صامتا برهة خاطفة ثم قال :

- ساكون هناك .

- وساوافيك في الموعد. . فإلى اللقاء .

جلس "لوبين" إلى مائدة الفطور فتناول طعامه في شهية وشرب قدحا كبيرا من القهوة ثم طلب رقمًا معينًا هو رقم ذلك السائق الذي اركبه سيارته يوم مصرع "بابيلوس" .

وقال يخاطب السائق تليفونيا :

اهذا انت يا "باستيان" ؟ الم تقل إنك على استعداد لان تخدمني إذا احتجت إليك ؟

فصاح السائق في ابتهاج قائلا :

- إني لأجلك مستعد لان اقدم على اي شيء .. لن اتردد حتى ولو سالتني ان أسرق لك البنك الدولي .

فابتسم "لوبين" وقال :

- وسانقدك اجرا طيبا .. فهل لك في مقابلتي بعد ربع ساعة عند ملتقى الشارع رقم ٤٤ بشارع "لكسنجتون" ؟

وكانت السيارة في انتظاره في المكان المحدد فلما رآه السائق مقبلا هتف به :

- أسرع بالصعود قبل ان يفطن احد إلى هذه الأربطة والضمادات .

صعد "لوبين" إلى السيارة وهو يقول للسائق :

- اذهب بي إلى بنك "فاندريك" ؟

ولما بلغت السيارة باب المصرف قال "لوبين" :

- قف بنا في اقرب مكان من المدخل .. إني لن انزل الآن من السيارة ولكن إذا رايتني اغادرها فلا تتحرك من مكانك ولا توقف المحرك وكن مستعدا للفرار فور رجوعي . واعلم اني ساعود ومعي شخص آخر سأذكر لك اسمه فيما بعد .

فهز السائق رأسه علامة الموافقة .

اشعل "لوبين" سيجارة واخذ يدخن وهو غارق في خواطره وافكاره .

كان باب البنك لا يزال مغلقا إذ لم يحن بعد موعد فتحه ولكن عينيه كانتا ما بين لحظة وأخرى تستقران على الباب في قلق ولهفة وهو يسائل نفسه عن السر الذي سيتكشف عنه هذا الانتظار .

أتراه سيظفر حقا بالرفيق الكبير ؟ أم سيضطر إلى البر بوعده فيعود إلى "فرساك" ويقدم إليه يديه ليضع فيهما القيد الحديدي ؟ أتراه سيتمكن من إنجاز مهمته وأداء واجبه نحو العدالة بالقبض على الرفيق الكبير الذي غمر المدينة بالجثث والدماء أم سينكص على عقبيه مخذولا مقهورا ؟

بدأت الساعة ترسل دقاتها التسع ، ونظر "لوبين" في ساعته كانما لا يصدق ما تسمع أذناه .

تحرك حارس الباب وأخذ يفتحه ليستقبل العملاء .

توترت أعصاب "لوبين" وجرت الدماء ساخنة في عروقه حين شعر باقتراب اللحظة الحاسمة . وأخذ يقول في نفسه : ليت شعري من هو الرفيق الكبير . ؟ نعم .. من هو الرفيق الكبير ؟ من هو ذلك الرجل الذي جمع من الدماء عشرين مليونا من الدولارات ؟ وما الذي يدعوه إلى المجيء للبنك ؟ اتراه قد أودعه هذه الملايين ؟

جعل "لوبين" ينظر في ساعته ويتفحص وجوه العشرات من الناس الذين هرعوا إلى البنك عندما فتحت أبوابه .

كانت هذه اللحظة حاسمة في تاريخ حياته .. ومجده .. وانتصاراته .. وماضيه .. كلها معلقة بما ستتكشف عنه هذه اللحظة .

وعلى حين فجاة راى صديقه "فالكروس" مقبلا فنسي كل شيء عند، هذا ونزل من السيارة ودنا منه ووضع يده على كتفه في رفق فدار هذا على عقبيه ، ولما راى "لوبين" امامه اتسعت عيناه دهشة وهتف قائلا :

- اهذا انت يا "لوبين" .. ؟ ما كنت اتوقع أن تستيقظ مبكرا في مثل هذه الساعة ؟

فابتسم "لوبين" وقال :

- بل إني لم اكد اذوق النوم .. ! ولكن أين كنت ؟

- الم تفطن إلى رسالتي ؟ لقد تركت لك رسالة على رخامة الموقد .

فهز "لوبين" راسه وقال :

- كانت هناك أسباب حالت دوني والبحث عن رسالتك ولكن تعال معي إلى سيارتي فإني لا اريد أن يراني أحد في هذا المكان .

واخذ بذراع "فالكروس" وقاده إلى السيارة .

وطلب إليه "لوبين" الانتظار وعدم الانطلاق بالسيارة إذ لم يحن أوان ذلك بعد.

عاد "لوبين" يسال "فالكروس" بقوله :

- ولكن أين كنت ؟

- لقد سافرت إلى بتسبرج بالطائرة لعمل فجائي استدعى ذلك، وتناولت العشاء مع صديق لي ثم عدت الآن بالطائرة .

- الم تذهب إلى الفندق بعد ؟

- نعم .. لم اذهب.

- هذا من حسن حظك .. فإن في انتظارك هناك شرطيا يريد أن يسالك عن السبب الذي جعلك تؤوي تحت سقفك رجلا خطرا مثلي

فبدت أمارات الدهشة على وجه "فالكروس" وقال :

- يا إلهي . ! ولكن كيف عرفوا أنك ..

- لا ادري .. وكل ما هنالك ان الرفيق الكبير اتصل بهم تليفونيا وارشدهم إلى مخبئي، واوصاهم بي خيرا قائلا :"إنه ضاق بي ذرعا.." ويلوح لي أن القنوط ادركه إذ رآني افلت من عصابته مرة بعد مرة ، فاراد أن يغري بي البوليس عله يكون أسعد حظا .. ولكن المهم الآن هو إخراجك أنت من هذه الورطة .. إذا سئلت عني فقل إنك لا تعرف شيئا، وان من المحتمل اني حضرت إلى السكن بقصد السطو .

- ولكن ماذا يكون من امرك انت ؟ الا تنوي أن تهرب ؟ فارتسمت ابتسامة خفيفة على شفتي "لوبين" وقال :

- بل سانتظر حتى اظفر بالمليون دولار التي وعدتني بها .

ثم انشا يحدثه بما وقع في الليلة الماضية واختتم حديثه بقوله:

.. وكان المفتش "فرساك" قد أطلق سراحي على شرط أن آتيه بالرفيق الكبير . وقد جئت إلى هذا البنك لأن "فاي ادواردس" سترشدني إلى الرفيق الكبير .

فصاح "فالكروس" قائلا :

- "فاي ادواردس" سترشدك إلى الرفيق الكبير .. ! إذن فهي ستتخلى عنه بعد أن انتشلها من وهدة الفقر والفاقة كما ذكرت لك! ساد الصمت

برهة ثم قال "فالكروس" :

- ما أعجب النساء .. ! هذه امرأة تتسلط على المدينة بأسرها وتنشر فيها الرعب والفزع وياتمر بامرها عشرات من الرجال يغرقون المدينة في الحديد والنار تلبية لإشارة من يدها .. ومع ذلك تتخلى عن هذا المجد ؟ لماذا ؟ لأنها أحبت رجلا مثلك .. مغامرا جسورا . لا اسم له ولا وطن .. ! حقا إن المرأة لغز غامض .. !

وفي تلك اللحظة مر باعة الصحف ينادون ويصرخون.. فابتاع "فالكروس" إحداها وما كاد ينظر فيها حتى هتف قائلا :

- انظر .. ها هو ذا الشخص السادس والأخير قد قتل !

فقد نشرت الصحف بالخط العريض أن أحد زعماء العصابات المدعو "كيرلي ايبولينو" المقيم في مدينة بتسبرج قد قتل في الليلة الماضية بيد شخص مجهول .

واسترسل "فالكروس" قائلا :

- الآن .. انتهت مهمتك العظيمة وصار المليون دولار حقا لك . لقد استدعيتك إلى هذه البلاد لتنتقم لمصرع ابني بأن تقتل ستة من زعماء العصابات . وقد قتلت خمسة منهم وها هو ذا السادس قد قتل ايضا فليس ثمة ما يدعوك إلى البقاء . إن في بقائك خطرا على نفسك وانت تعلم أن البوليس يجد في أثرك . فعد إلى بلادك .. بادر إلى الفرار .. وخذ معك المليون دولار .

فقال "لوبين" معترضا :

- والرفيق الكبير . ؟

- ولكنك تعلم أني لم أسألك أن تقتل الرفيق الكبير . ! إنه شخص لا

خطر منه .. إنه ذهن جبار ليس إلا .. يدير ويحرك ويضع الخطط ..
ولكن بمفرده لا يستطيع ان يعمل شيئا .. إنه كالطير إذا قص جناحاه
عجز عن الطيران .. وقد قص الجناحان بمصرع زعماء العصابة الستة
فوجود الرفيق الكبير وموته سيان.. إنك أنت الذي ضممته إلى القائمة
على غير رايي فلن أطالبك بقتله .. سآتيك الآن بالمليون دولار فخذها
واهرب وإلا وقعت في أيدي البوليس .

نزل "فالكروس" من السيارة ومشى متجها إلى درج البنك .

اخذ "لوبين" يتابعه بعينيه وقد ارتسمت فيهما نظرة عجيبة .. نظرة
تدل على ان فكرة غريبة قد وثبت إلى ذهنه .

وفي هذه اللحظة وقفت سيارة عند الإفريز وخرجت منها "فاي
ادواردس" .

لم يكد "لوبين" يراها حتى فتح باب سيارته وقفز إلى الأرض .

وإذ ذاك رأى أن الفتاة لم تكن تنظر إليه وإنما كانت مرسلة بصرها
إلى "فالكروس" .

ولم يكن هناك ما يدعوها إلى الكلام .. ولم يكن هناك ما يدعوه إلى
توجيه الأسئلة . ! كانت هذه النظرة أفصح من كل سؤال وجواب !

"فالكروس" هو الرفيق الكبير !

ولم تكن الفتاة قد فطنت بعد إلى وجود "لوبين" .. كانت لا تزال تنظر
إلى "فالكروس" . هذه النظرة الناطقة . الفصيحة البليغة . هذه النظرة
التي جمعت كل ما يبغيه "لوبين" .

وارتفع الستار وانكشف الماضي كله .

تدفقت إلى ذهن "لوبين" الحقائق القديمة والأسماء

والكلمات..والحوادث واخذت تدوي في اذنيه وتروح وتجيء حتى انتظمت سلسلة منسقة متصلة الحلقات ليس لها إلا معنى واحد هو أن "فالكروس" هو الرفيق الكبير .

الرفيق الكبير هو الذي وشي به إلى البوليس وانباهم بمخبئه .. ومن يعرف هذا المخبا غير "فالكروس" !؟

لقد ذكرت له "فاي ادواردس" أن "كيري ايبولينو" يقطن مدينة بتسبرج .. وها هو ذا "فالكروس" يذهب إلى بتسبرج بالطائرة ويعود منها .. وها هي ذي الصحف تعلن إلى الناس مصرع "ايبولينو" !

إذن فقد ذهب "فالكروس" إلى بتسبرج ليقتل "ايبولينو" لأنه كان الوحيد الذي لا يزال حيا بين زعماء العصابة فإذا مات الت العشرون مليونا كلها إلى "فالكروس" وحده .

وهذا إذن هو السر في أن الرفيق الكبير أوصى "فاي" بان تنقذ "لوبين" وتحميه كلما وقع بين أيدي العصابة معللا ذلك بانه سيتمكن في أحد الأيام من ضمه إليه . أما التعليل الحقيقي فهو انه اراد أن يبقي على "لوبين" حتى يتم له الإجهاز على شركائه في الميراث واحدا بعد الآخر .

والآن وقد تم هذا الإجهاز ولم يبق إلا "إيبولينو" فقد وشي به إلى البوليس وتولى هو بنفسه التخلص من غريمه"ايبولينو"

وحكاية الابن الذي اختطفته العصابة وقتلته .. ورغبة "فالكروس" في الانتقام لولده .. ! إنها إذن حكاية ملفقة لا اصل لها ابتكرها "فالكروس" ليتخذ منها حجة في الاستعانة بـ"لوبين" .

وما فكر "فالكروس" في التخلص من "لوبين" والوشاية به عند

البوليس لولا ان اصر هذا على اكتشاف سر الرفيق الكبير والقضاء عليه مع من قضى عليهم من زعماء العصابة .

وهكذا انكشف الحجاب وتدفقت الحقائق الدامغة إلى ذهن "لوبين" .

ومنذ لحظات وثبت هذه الفكرة إلى دماغ "لوبين" ولكنه طردها ونفاها ولم يشا ان يصدق أن "فالكروس" هو بعينه الرفيق الكبير .

اما الآن .. حين راى تلك النظرة التي أرسلتها "فاي ادواردس" إلى "فالكروس" فلم يعد هناك مجال للشك .

كانت "فاي" لا تزال مسمرة في مكانها وهي تنظر إلى "فالكروس" الذي كان قد شرع يرتقي درج البنك .

وفجاة التفت "فالكروس" خلفه فراى الفتاة لاول مرة .. وراى النظرة التي في عينيها .. ثم راى "لوبين" وراى ايضا النظرة التي في عينيه !

وعرف في الحال أن أمره قد انكشف .

تبددت من عينيه امارات الرقة وطيبة القلب وارسلتا وميضا مخيفا كالشرر . وانقلبت سحنته وتقلصت عضلات وجهه حتى لقد خيل إلى "لوبين" انه يرى هرة وديعة تنقلب نمرا مفترسا .

وعلى حين بغتة امتدت يد "فالكروس" إلى جيبه الخلفي .

وكذلك فعل "لوبين" .. ولكنه ما لبث أن أدرك غلطته. كانت يده اليمنى هي التي تحركت بحكم الغريزة . ولكنه نسي الجرح الذي في ذراعه والذي يجعل استعماله هذه اليد متعذرا .. فلما شعر بالألم يمزق اوصاله رد يده عن الحركة ودفع يده اليسرى إلى جيبه.

وفي هذه اللحظة كان "فالكروس" قد اخرج مسدسه وارسل منه طلقا ناريا مر إلى جوار أذن "لوبين" .

ودوى الطلق الثاني ولكن "لوبين" لم ير اتجاهه ولم يسمع منه إلا دويه .

أخرج "لوبين" مسدسه وأطلق رصاصة أصابت "فالكروس" فافلتت أصابعه المسدس وترنح وسقط على الأرض جرى إليه "لوبين" فأخذ بتلابيبه وجره إلى السيارة .

وإذ ذاك رأى "فاي إدواردس" .

كانت واقفة إلى جوار السيارة مستندة إليها بإحدى يديها أما يدها الأخرى فكانت موضوعة فوق صدرها وقد انبثقت خيوط من الدماء من بين فتحات أصابعها .

وعرف "لوبين" على الفور أين استقرت رصاصة "فالكروس" الثانية !

لم يشعر بالحزن فحسب وإنما خيل إليه أنه يختنق وأن أنفاسه احتبست وأن قلبه كف عن الخفقان .

وفي اللحظة التالية فتح باب السيارة وألقى بـ"فالكروس"على المقعد كما تلقى الغرارة . ثم رجع إلى "فاي" فاحتواها بين ذراعيه في رفق وحملها إلى السيارة .

وكانت خفيفة كأنها طفلة ناعسة .. ولم يشعر حتى بالألم الذي كان يمزق كتفه ووضعها على المقعد في رفق وحذر كأنها تمثال من الزجاج يخشى عليه أن ينكسر .

انطلقت السيارة مسرعة دون أن يجرؤ أحد من الجمهور المحتشد على التعرض لها .

ولكن رجال البوليس انطلقوا في أثرها بالموتوسيكلات والسيارات و"باستيان" ينهب الأرض ويطوي الطرقات كأنه في سباق إلى الموت لا

يعبا بإشارات المرور ولا يقيم وزنا لأوامر الكونستبلات .. يدور وينعطف ويتلوى ويعرج حتى نجح أخيرا في تضليل مطارديه والإفلات منهم .

وشعر "لوبين" بلمسة خفيفة على ذراعه فنظر إلى الفتاة .

كانت قد نزعت قبعتها فتهدل شعرها على جبينها في خصلات من الذهب . وكان في عينيها الجميلتين ظلال خفيفة ولكن وجهها لبث هادئا ساكنا والشباب المتفجر منطبع على صفحته كانما لم يكن يفترسها الموت . ! أما انفراج شفتيها فيمكن أن يوصف بأنه شبح ابتسامة !

وتكلمت قائلة :

- لا تحزن .. ! لن أرافقك إلى النهاية !

فقال "لوبين" في خشونة :

- هراء ! إصابتك تافهة . ! وستشفين! لكنه كان يعلم أنه كاذب ، وكانت هي أيضا تعرف ذلك .

هزت راسها فتراقصت خصلاتها الذهبية وقالت :

- ليس هناك ما يؤلم ! إني لا أتعذب !

وكانت مستندة إلى صدره في استسلام كانها طفلة متعبة .

وأرسلت من صدرها تنهيدة خفيفة قالت :

- ما كنت أظن أني سأموت الآن .

وعقد الحزن لسانه فلم يتكلم .

ثم قالت في هدوء :

- قبلني ثانية يا "لوبين" . !

فقبلها .

وجعلت الفتاة تتامل وجهه كانما تريد الا تنسى خطا واحدا من خطوط ملامحه .

كانت تبتسم . وكان في عينيها ومضات .

ورآها تستجمع أنفاسها لتتكلم ثم قالت في صوت خافت :

- وداعا .

ثم اغمضت عينيها وهي لا تزال تنظر إليه .

وضع "لوبين" راسها في رفق على وسادة السيارة . ولم يحول بصره عنها ، ولكنه لم يكن يرى شيئا لأن العبرات حجبت عنه وجهها . وجه هذه الفتاة التي عاشت لأجله .. وماتت لأجله !

* * *

ظل "لوبين" ساكنا جامدا كانما أدركه الموت هو أيضا .

وخيل إليه انه يسمع إلى جواره حركة وصوتا . وكان هذا هو "فالكروس" وقد بدأ يتحرك ويتكلم .

قال "فالكروس" في صوت متقطع ينم عن الألم والرعب :

- إني لا أريد أن أموت .. ! انقذني .. انقذني .. خذ كل أموالي وأعد إلي الحياة .. ! اذهب بي إلى الطبيب .. إن لدي عشرين مليونا فخذها كلها .. لا أبتغي إلا الحياة .. انقذني .

فصاح "لوبين" في صوت غاضب :

- اصمت . !

فعاد "فالكروس" يقول متوسلا :

- خذ ملاييني كلها . لست أريد إلا أن أعيش !

فضربه "لوبين" بيده على فكه وهو يقول في وحشية :

- ويحك أيها المجنون .. ! اتظن أن ملايينك يمكن أن تعيد إلي ما فقدت .. !

فانكمش المحتضر خوفا ولاذ بالصمت . فقد كان صوت "لوبين" اشد رهبة من الموت .

وحين وقفت السيارة أمام بيت المفتش "فرساك" نزل منها "لوبين" وتقدم إلى البيت فالفى "فرساك" عند الباب .

وأخرج "لوبين" المسدس وقدمه إلى "فرساك" قائلا :

- لقد بررت بوعدي .. وهاك مسدسك !

فدس المفتش المسدس في جيبه وقال :

- ألم تعثر على الرفيق الكبير ؟

- إنه في السيارة .

فاشرق وجه "فرساك" وهمس قائلا :

- شكرا لك .

وأسرع إلى السيارة وفتح بابها فتدحرجت جثة "فالكروس" عند قدميه .

وهنا رأى "فرساك" شيئا آخر .. رأى جثة فتاة على المقعد .. فقطب جبينه وجمد في مكانه .. ثم قال :

- من هذه .. ؟

ولكنه لم يسمع جوابا لأن "لوبين" كان قد اختفى !!

* * *

الخاتمة

كانت نيويورك بأسرها تتحدث عن "أرسين لوبين" .. !

أما في انجلترا فكان المفتش "تيل" جالسا بين نفر من مساعديه وهو يقول :

- لقد رجع إلينا "لوبين" !!

ثم يتنهد ويقول :

- نعم .. لقد رجع !

فيتنهد معه جميع مساعديه ويقولون :

- نعم.. لقد رجع !

فقد كانوا يعرفون معنى هذه العودة !

أما "لوبين" نفسه فكان جالسا في حديقة داره وسيجارته بين شفتيه و"باتريشيا هولم" إلى جواره وهي تقول :

- ولكنك لم تحدثني بشيء مما وقع لك في نيويورك ؟

ولم يسمع "لوبين" سؤالها .. لأنه كان في هذه اللحظة يعيش في مكان يبعد عن لندن حوالي ٤٨٠٠ كيلو متر . ولم يكن يسمع إلا صوتا واحدا .. صوتا يعلو على ضجة المركبات ودوي السيارات ..

وكان الصوت موسيقيا عذبا يردد في همسات لينة :

وداعا .. ! وداعا .. !

"تمت بحمد الله"

اقطع الكوبون، وضع علامة ☒ على رقم الرواية التي تريدها، وأرسله مع الشيك بالبريد المسجل (المضمون) وان يكون الشيك مسحوب على مصرف في لبنان على العنوان التالي :

دار ميوزيك : ص ب ٣٧٤ - جونيه - لبنان

ملاحظة : جميع الشيكات : بإسم

دار ميوزيك

أرجو سرعة إرسال الروايات التالية :

١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦				

الإســم : ....

العنوان : ....

ص.ب .... المدينة : .... الرمز البريدي : ....

الدولـــة : ....

مرسل طيّه شيك بمبلغ .... دولار امريكي.

هذه هي أسماء وأرقام الروايات التي يمكنكم طلبها.
سارع في إرسال طلبك !

١	ارسين لوبين بوليس آداب		
٢	أرسين لوبين بوليس سري		
٣	الماسة الزرقاء		
٤	ارسين لوبين رقم ٢		
٥	أرسين لوبين في السجن		
٦	المعركة الأخيرة		
٧	أرسين لوبين في موسكو		
٨	أرسين لوبين في قاع البحر		
٩	أرسين لوبين في نيويورك		
١٠	اسنان النمر		
١١	الميراث المشؤوم		
١٢	اصبع أرسين لوبين		
١٣	لصوص نيويورك		
١٤	اعترافات أرسين لوبين		
١٥	الإبرة المجوفة		
١٦	الإنذار		